تفسير القرآن

للإمام العلامة شيخ الإسلام حجة أهل السنة والجماعة
أبي المظفر السمعاني
منصور بن محمد بن عبد الجبار التميمي المروزي الشافعي السلفي
(٤٢٦ ~ ٤٨٩)

المجلد الرابع
من الفرقان إلى الزمر

تحقيق
أبي بلال غنيم بن عباس بن غنيم

دار الوطن
الرياض - شارع المعذر - ص.ب: ٣٣١٠
☎ ٤٧٩٢٠٤٢ - فاكس: ٤٧٦٤٦٥٩

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ ولا تُطِعِ الْكَافِرِينَ والْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كان عليما حكيما (١) واتَّبِعْ ما يُوحَىٰ إِلَيْكَ من رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بمَا تعْمَلُون خبيراً (٢) وتوكَّلْ على الله﴾

تفسير سورة الأحزاب

وهى مدنية فى قول الجميع

﴿يا أيها النبى اتق الله﴾ فيه أقوال: أحدها: (أى)(١) دُم على التقوى، كالرجل يقول لغيره - وهو قائم - قم هاهنا أى: اثبت قائما، والقول الثانى: أن الخطاب مع الرسول، والمراد أمته.

وقيل أيضاً فى الآية: ﴿اتق الله﴾ أى: استكثر من أسباب التقوى، والتقوى: هى العمل بطاعة الله رجاء رحمة الله على نور من الله، وترك معصية الله خوف عذاب الله على نور من الله، وفى الآية قول رابع: وهو ما روى أن أبا سفيان وعكرمة بن أبى جهل وأبا الأعور السلمى قدموا المدينة فى مدة الهدنة، وطلبوا من رسول الله أشياء كريهة؛ فَهَمَّ رسول الله ﷺ والمسلمون أن يقتلوهم؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿يأأيها النبى اتق الله﴾ يعنى: لاتنقض العهد الذى بينك وبينهم، ذكره الضحاك.

وقوله: ﴿ولاتطع الكافرين والمنافقين﴾ أى: الكافرين من أهل مكة، والمنافقين من أهل المدينة.

وقوله: ﴿إن الله كان عليمًا حكيمًا﴾ أى: عليما بخلقه قبل أن يخلقهم، حكيما فيما دبره لهم.

وقوله تعالى: ﴿واتبع ما يوحى إليك من ربك﴾ أى: من القرآن.

وقوله: ﴿إن الله كان بما تعملون خبيرا﴾ أى: خبيرا بأعمالكم.

قوله تعالى: ﴿وتوكل على الله﴾ أى: ثق بالله.

(١) فى «ك»: أن.

وكفى بالله وكيلا ﴿٣﴾ ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم

وقوله: ﴿وكفى بالله وكيلا﴾ أى: وكفى بالله حافظا لك، ويقال: وكفى بالله كفيلا يرزقك.

قوله تعالى: ﴿ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه﴾ فى الآية أقوال: أحدها: ما ذكر السدى وغيره: أن رجلا كان يقال له: جميل بن معمر والأصح أبو معمر جميل ابن أسد، وكان أهل الجاهلية يسمونه ذا القلبين لشدة ذكائه وفطنته، فلما هزم الله تعالى المشركين يوم بدر فكان هو معهم انهزم أيضا؛ فلقيه أبو سفيان وإحدى نعليه فى رجله والأخرى قد علق بيده. فقال له: ما شأن الناس؟ قال: هزموا. فقال: ما شأن نعلك بيدك؟ فقال: ما علمت إلا أنها فى رجلى؛ فعلموا أنه ليس له إلا قلب واحد، وأنزل الله تعالى هذه الآية.

والقول الثانى: أن المنافقين كانوا يقولون: لمحمد قلبان؛ قلب معكم، وقلب مع أصحابه؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية و أخبر أنه ليس له إلا قلب واحد.

و القول الثالث: ما روى عن الحسن البصرى أنه قال: كان الواحد منهم يقول: إن لى نفسا تأمرنى بالخير، ونفسا تأمرنى بالشر؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية، وأخبر أنه ليس لأحد إلا نفس واحدة وقلب واحد، وإنما الأمر بالخير بإلهام الله، والأمر بالشر بإلهام الشيطان.

والقول الرابع: ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه أى: ما جعل لرجل أبوين، وقد احتج به الشافعى فى مسألة القائفة، وقال هذا: لأن زيد بن حارثة كان ينسب إلى النبى ﷺ بالبنوة، فقال الله تعالى: ﴿ما جعل الله لرجل﴾ أبوين أى: هو ابن حارثة، وليس بابن النبى ﷺ.

وقوله: ﴿وما جعل أزواجكم اللائى تظاهرون منهن أمهاتكم﴾ والظهار هو أن يقول الرجل لزوجته: أنت على كظهر أمى، وقد كانوا يعدونه طلاقا، فإن قيل: كيف

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ﴿٤﴾ ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن

وجه الجمع بين هذا وبين ما سبق؟ والجواب عنه: أن معناه ليس الأمر كما زعمتم من اجتماع قلبين لرجل أو أبوين، ولا كما زعمتم من أن المرأة تصير كالأم بالظهار. وأما معنى الظهار وحكمه فسنذكر فى سورة المجادلة.

وقوله: ﴿وما جعل أدعياءكم أبناءكم﴾ فى الآية نسخ التبنى، وقد كان الرجل فى الجاهلية يتبنى الرجل ويجعله ابنا له مثل الابن المولود، وعلى ذلك تبنى رسول الله ﷺ زيد بن حارثة، فنسخ الله تعالى ذلك.

وقوله: ﴿ذلكم قولكم بأفواهكم﴾ أى: هو قول لا حقيقة له.

وقوله: ﴿والله يقول الحق﴾ أى: قوله الحق بما نهى من التبنى.

وقوله: ﴿وهو يهدى السبيل﴾ أى: يرشد إلى طريق الحق.

قوله تعالى: ﴿ادعوهم لآبائهم﴾ قد ثبت برواية موسى بن عقبة، عن سالم، عن ابن عمر أنه قال: «ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد حتى أنزل الله تعالى: ﴿ادعوهم لآبائهم﴾»[1].

قال الشيخ الإمام: أخبرنا بذلك مكى بن عبد الرزاق، أخبرنا أبو الهيثم، أخبرنا الفربرى، أخبرنا البخارى، أخبرنا معلى بن أسد، عن عبد العزيز بن المختار عن موسى ابن عقبة.. الحديث.

وقوله: ﴿هو أقسط عند الله﴾ أى: أعدل عند الله.

وقوله: ﴿فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم فى الدين﴾ أى: سموهم بأسماء إخوانكم فى الدين، وذلك مثل، عبد الله، وعبد الكريم، وعبد الرحمن، وعبد العزيز، وأشباه ذلك.

(١) متفق عليه، رواه البخارى (٨/٣٧٧ رقم ٤٧٨٢)، ومسلم (١٥/٢٧٩ – ٢٨٠ رقم ٢٤٢٥).

مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

وقوله: ﴿ومواليكم﴾ هذا قول الرجل للرجل: أنا أخوك ومولاك، أو يقول: أنا أخوك ووليك، ويقال: إخوانكم في الدين من كانوا في الأصل أحراراً ومواليكم من أعتقوا، ويقال: مواليكم من أسلم على أيديكم.

وقوله: ﴿وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به﴾ الخطأ في هذا أن يقول لغيره: يابن فلان، وهو يظن أنه ابنه، ثم يتبين أنه ليس بابنه.

والقول الثاني: الخطأ ها هنا هو ما فعلوا قبل النهي، والتعمد ما فعلوه بعد النهي.

وقوله: ﴿وكان الله غفوراً رحيماً﴾ أي: ستورا عطوفا.

قوله تعالى: ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ أي: من بعضهم ببعض.

وقد ثبت أن النبي ﷺ قال: «أنا أولى بكل مؤمن ومؤمنة من نفسه، فمن ترك مالا فلورثته ومن ترك دَيْنًا أو ضَيَاعًا فإليَّ»(١).

وفي الآية قول آخر: وهو أن معناه: أن الرسول إذا دعاه إلى شيء، ونفسه دعته إلى شيء، فيتبع الرسول ولا يتبع النفس، والقول الثالث: هو ما روي أن النبي ﷺ كان يخرج إلى الجهاد، فيقول قوم: يا رسول الله، نذهب فنستأذن من آبائنا وأمهاتنا، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقوله: ﴿وأزواجه أمهاتهم﴾ أي: في الحرمة خاصة دون النظر إليهن و الدخول عليهن، وفي قراءة ابن مسعود وأبي: «وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم».

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة بنحوه، رواه البخاري (٤/٥٥٧ رقم ٢٢٩٨ وأطرافه: ٤٧٨١، ٢٣٩٨، ٢٣٩٩، ٥٣٧١، ٦٧٣١، ٦٧٤٥، ٦٧٦٣)، ومسلم (١١/٨٥ - ٨٦ رقم ١٦١٩).

ورواه مسلم أيضا من حديث جابر بن عبد الله في حديث طويل (٦/٢١٩ - ٢٢٣ رقم ٨٦٧)، والنسائي (٣/١٨٨ - ١٨٩ رقم ١٥٧٨)، وابن ماجه (١/١٧ رقم ٤٥)، وأحمد (٣/٣١٠، ٣٣٨، ٣٧١)، وابن خزيمة (٣/١٤٣ رقم ١٧٨٥)، وأبو يعلى (٤/٨٥ رقم ٢١١١)، وابن حبان في صحيحه (١/١٨٦ - ١٨٧ رقم ١٠).

وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾

واختلفوا في المرأة التي فارقها النبي ﷺ قبل الوفاة على ثلاثة أوجه: فأحد الوجوه: أنها محرمة أيضا، والوجه الآخر: أنها ليست بمحرمة، والوجه الثالث: أنها إن كان دخل بها فهي محرمة، وإن لم يكن دخل بها فليست بمحرمة.

و اختلف الوجه أيضا في أنهن هل يكن أمهات المؤمنات، فأحد الوجهين: أنهن أمهات المؤمنات كما أنهن أمهات المؤمنين، والوجه الآخر: أنهن أمهات الرجال دون النساء، وروى أن امرأة قالت لعائشة: يا أماه، فقالت: أنا أم رجالكم دون نسائك.

وأما أخوة أزواج النبي ﷺ فليسوا بأخوال المؤمنين، وكذلك أخوات أزواج النبي ﷺ لستن بخالات المؤمنين.

وقد روى أنه كانت عند الزبير أسماء بنت أبي بكر، فقالت الصحابة: عند الزبير أخت أم المؤمنين، ولم يقولوا: عنده خالة المؤمنين.

وقوله: ﴿وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾ أي: أولى بعضهم ببعض ميراثا في حكم الله، وقد كانوا يتوارثون بالهجرة، فنسخ الله تعالى ذلك إلى التوارث بالقرابة. وروى أن النبي ﷺ آخى بين المهاجرين و الأنصار، وكان يرث بعضهم بعضا»، ثم نسخ ذلك.

وقوله: ﴿من المؤمنين والمهاجرين﴾ دليل على أن المؤمن لايرث الكافر، والكافر لايرث المؤمن.

وقوله: ﴿والمهاجرين﴾ دليل على أن المهاجر لايرث من غير المهاجرين، ولا غير المهاجر من المهاجر.

وقوله: ﴿إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا﴾ فيه قولان: أحدهما: إلا أن توصوا وصية لغير الأقرباء الذين هم أهل دينكم، وحقيقة المعنى: أنه نسخ ميراثهم، وأبقى جواز الوصية، والقول الثاني: أن المراد من الآية هو الوصية للكفار، فالمعنى على

وإذْ أخذْنا من النّبيين ميثاقهُمْ ومنك ومن نُوحٍ وإبْراهيم ومُوسىٰ وعيسى ابْن مريم وأخذْنا منْهُم مّيثاقا غليظا ﴿٧﴾ ليسْأل الصّادقين عن صدْقهمْ وأعدّ للْكافرين عذابا

هذا: أن الكفار لايرثون المسلمين، ولو أوصى لهم جاز.

وقوله: ﴿كان ذلك فى الكتاب مسطورا﴾ أى: فى اللوح المحفوظ، ويقال: فى القرآن وسائر كتب الله.

وقوله: ﴿وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم﴾ الميثاق: العهد الغليظ، وأشد العهد هو التحليف بالله.

وقوله: ﴿ومنك ومن نوح﴾ اختلف القول فى تقديم النبى ﷺ، فأحد القولين: ما رواه أبو هريرة عن النبى ﷺ أنه قال: «أنا أول النبيين خلقا وآخرهم بعثا»[1].

وعن قتادة قال: بدأ به فى الخلق، وختم به فى البعث، والقول الثانى: أن الواو توجب الجمع، ولا توجب تقديما ولا تأخيرا، فكأنه قال: أخذنا من هؤلاء النبيين ميثاقهم، وخص هؤلاء لأنهم كانوا أصحاب الشرائع وهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى [ابن مريم][2]، ومحمد. وأما معنى الميثاق: قال أهل التفسير: أخذ عليهم أن يعبدوا الله ويدعوا إلى عبادة الله، ويصدق بعضهم بعضا، وينصحوا الناس، ويقال: أخذ على نوح أن يبشر بإبراهيم، وعلى إبراهيم أن يبشر بموسى، [وعلى موسى أن يبشر بعيسى][2]، وهكذا إلى محمد ﷺ.

وقوله: ﴿وأخذنا منهم ميثاقا غليظا﴾ قد بينا من قبل.

وروى عن أبى بن كعب أنه قال: أخذ ذرية آدم من ظهر آدم، والنبيون فيهم،

---

(١) رواه ابن عدى فى الكامل (٣/ ٤٩، ٣٧٣)، وابن أبى حاتم (٣/ ٤٦٩ - تفسير ابن كثير)، وأبو نعيم فى الدلائل (٦) والبغوى فى تفسيره (٣/ ٥٠٨)، وتمام فى فوائده (٢/ ١٥ رقم ١٠٠٣)، والديلمى فى الفردوس (٣/ ٢٨٢ رقم ٤٨٥٠). وقال الحافظ ابن كثير: سعيد بن بشير فيه ضعف. وقد رواه سعيد بن أبى عروبة عن قتادة مرسلا وهو أشبه. وقال الشيخ ناصر فى الضعيفة (٦٦١): ضعيف. وانظر كلامه على الحديث هناك.

(٢) من «ك».

أليماً ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا وا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ

كأنهم سُرُج تزهو، وأخذ عليهم الميثاق. وعن بعضهم: خلق الأرواح قبل الأجساد، وأخذ الميثاق على الأرواح.

قوله تعالى: ﴿ليسأل الصادقين عن صدقهم﴾ أى: ليسأل النبيين عن تبليغهم الرسالة، فإن قال قائل: وأى حكمة فى سؤالهم عن تبليغ الرسالة؟ والجواب عنه: الحكمة فى ذلك تبكيت الذين أرسلوا إليهم، وعلى هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله﴾[1].

ويقال: ليسأل الصادقين عن عملهم لله، وقيل: ليسأل الصادقين بأفواههم عن صدقهم فى قلوبهم.

وقوله: ﴿وأعد للكافرين عذابًا أليمًا﴾ قد تم الكلام الأول، وهذا ابتداء كلام، ومعناه معلوم.

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم﴾ أى: منة الله عليكم.

وقوله: ﴿إذ جاءتكم جنود﴾ المراد من الجنود هم الأحزاب الذين تحزبوا على رسول الله ﷺ وهم: قريش عليهم أبو سفيان، وأسد عليهم طليحة بن (خويلد)[2]، وغطفان عليهم عُيينة بن حصن، وكانت عدتهم بلغت اثنى عشر ألفا، (ورئيس الجماعة)[3] أبو سفيان، وقصدوا استئصال النبى ﷺ وأصحابه، ودخل يهود قريظة معهم وأمرهم معهم، ونقضوا العهد الذى كان بينهم وبين النبى ﷺ فى قصة طويلة؛ فلما بلغ النبى ﷺ أمرهم حفر الخندق حول المدينة، [وهذه هى] غزوة الخندق وجمع الأحزاب.

---

(١) المائدة: ١١٦.

(٢) فى «ك»: خولة، وهو خطأ، وانظر ترجمته فى الإكمال (١/ ٨١)، والإصابة (٢/ ٢٣٤).

(٣) فى «ك»: ورئيسهم.

تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ

وقوله: ﴿فأرسلنا عليهم ريحا﴾ فى التفسير: أن الله تعالى أرسل عليهم ريح الصَّبا حتى هزمتهم، قال عليه الصلاة والسلام: «نصرت بالصَّبا، وأُهْلكت عاد، بالدَّبور».(١) وكانت الريح تقلع فساطيطهم، وتقلب قدورهم، وتسف التراب فى وجوههم، وجالت خيلهم بعضها فى بعض؛ فانهزموا ومروا، وكفى الله أمرهم.

وقوله: ﴿وجنودًا لم تروها﴾ أى: الملائكة.

وقوله: ﴿وكان الله بما تعملون بصيرا﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿إذ جاءوكم من فوقكم﴾ فى التفسير: أن الذين جاءوا من فوقهم هم أسد وغطفان.

وقوله: ﴿ومن أسفل منكم﴾ هم قريش وكنانة. ويقال: الذين جاءوا من فوقهم قريظة، ومن أسفل منكم قريش وغطفان.

وقوله: ﴿وإذ زاغت الأبصار﴾ أى: شَخُصت الأبصار، وفى العربية معنى زاغت: مالت، فكأنها مالت شاخصة، فهذا من الرعب والخوف.

وقوله: ﴿وبلغت القلوب الحناجر﴾ أى: بَنَتْ عن أماكنها وارتفعت، قال قتادة: لو وجدت مسلكها لخرجت من الحناجر، ولكنها ضاقت عليها. والأصح من المعنى أن هذا على طريق التمثيل، والعرب تقول: بلغ قلب فلان حنجرته، أى: من الرعب والخوف - والحنجرة حرف الحلقوم - وهو كلمة عبارة عن شدة الفزع.

وقوله: ﴿وتظنون بالله الظنونا﴾ أى:(٢) ودخلت الألف لموافقة (أواخر(٣)) الآيات فى السورة.

(١) تقدم تخريجه.
(٢) كذا فى «الأصل، وك»، وفى الكلام سقط.
(٣) فى «ك»: آخر.

الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ

قال الشاعر:

أقلى اللــوم عــاذل والعتابا وقولى إن أصبت لقد أصابا

أى: أقلى ياعاذلى اللوم والعتاب.

قوله تعالى: ﴿هنالك ابتلى المؤمنون﴾ هنالك فى اللغة للبعيد، وهنا للقريب، وهناك للوسط، ومعنى هنالك ها هنا أى: عند ذلك ابتلى المؤمنون.

وقوله: ﴿وزلزلوا زلزالا شديداً﴾ أى: حركوا حركة شديدة، وقرئ: «زَلزالا» - بفتح الزاى، والأشهر بكسر الزاى «زِلزالا»، وهو الأصح فى العربية. ومن الأخبار المشهورة: أن رجلا قال لحذيفة - رضى الله عنه -: رأيتَ رسول الله ﷺ وصحبته، والله لو رأيناه حملناه على أعناقنا. فقال حذيفة: أخبرك أيها الرجل أنا كنا مع رسول الله ﷺ فى غزوة الخندق، فبلغ بنا الجهد والجوع والخوف ما الله به أعلم، فقال رسول الله ﷺ من منكم يذهب فيأتى بخبر القوم، والله يجعله رفيقى فى الجنة؟ فما أجابه منا أحد من شدة الأمر، ثم قال ثانيا، فما أجابه منا أحد، ثم قال ثالثا، فما أجابه منا أحد فقال: ياحذيفة، فلم أستطع أن لا أجيب فجئته، فقال: اذهب وأتنى بخبر القوم، ولا تحدثن أمرًا حتى تأتينى، ودعانى فذهبت، وأتيته بخبر القوم فى قصة..»(١).

وإنما أراد حذيفة بهذه الرواية أن لايتمنى ذلك الرجل ما لم يدركه، فلعله لايصبر على البلوى إن أدركته.

قوله تعالى: ﴿وإذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا﴾ اختلفوا فى القائل لهذا القول، قال بعضهم: هو أوس بن قيظى، وقال

(١) رواه مسلم (١٢/٢٠١ - ٢٠٣ رقم ١٧٨٨)، وابن جرير (٢٢/٨٠ - ٨١)، وابن حبان (١٦/٦٧ - ٦٨ رقم ٧١٢٥)، والحاكم (٣/٣١) وصححه، وأبو نعيم فى الحلية (١/٣٥٤)، والبيهقى (٩/١٤٨ - ١٤٩)، وفى الدلائل (٣/٤٤٩ وما بعدها).

بعضهم: عبد الله بن أبى، وقال بعضهم: مُعَتب بن قَشير، وأما الوعد الذى سموه غرورا فهو ما روى «أن النبى ﷺ لما أمر بحفر الخندق قسم الحفر على أصحابه، فوقع سلمان مع بنى هاشم، فجعل يحفر فبلغ صخرة لايستطيع حفرها، فأخذ رسول الله ﷺ المعول من يده، وضرب على الصخرة ضربة فأضاءت كالشهاب، ثم كذلك فى الثانية والثالثة، فقال سلمان: يارسول الله، لقد رأيت عجبا! فقال رسول الله ﷺ: ولقد رأيتها؟ قال: نعم، رأيت فى الضربة الأولى قصور اليمن، وفى الضربة الثانية المدائن البيض أى: قصر كسرى، وفى الضربة الثالثة رأيت قصور الشام، فقال ﷺ: ليفتحنها الله على أمتى، فانتشر ذلك فى الناس؛ فلما بلغ بهم الأمر ما بلغ، قال هؤلاء القوم: إن محمدا يعدنا ملك كسرى وقيصر، وإن أحدنا لايستطيع أن يفارق رحله (ويذهب)(1) إلى الخلاء، ما هذا إلا الغرور، فأنزل الله تعالى ما ذكرنا من الآية»(2).

قوله تعالى: ﴿وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب﴾ هو المدينة، ويقال: يثرب موضع والمدينة منه، قال حسان بن ثابت شعرا:

سأهدى لها فى كل عام قصيدة ... وأقعـد مكفياً بيثرب مكرما

وفى بعض الأخبار: «أن النبى ﷺ نهى أن تسمى المدينة يثرب، وقال: هى طابة»(3) كأنه عليه الصلاة والسلام كره هذه اللفظة؛ لأنه من التثريب.

وقوله: ﴿لا مَقَام لكم﴾ وقرئ «لا مُقَام لكم» برفع الميم، فقوله: ﴿لا مُقَام لكم﴾ أى: لا إقامة لكم، وقوله: ﴿لا مَقَام لكم﴾ بفتح الميم – أى: لا منزل لكم.

(1) فى «ك»: يتوجه.

(2) رواه البيهقى فى الدلائل (٣/٤١٧ – ٤١٨) بإسناده عن ابن إسحاق قال: حدثت عن سلمان، فذكره بنحوه. وهو فى سيرة ابن هشام (٣/١٢٩ – ١٣٠).

وفى الباب عن عمرو بن عوف المزنى، والبراء، والسدى مرسلا، وانظر الدلائل (٣/٤١٨ وما بعدها)، والدر (٥/٢٠٢ – ٢٠٣).

(3) رواه أحمد (٤/٢٨٥)، وابن شبة فى تاريخ المدينة (١/١٦٥)، وأبو يعلى (٣١/٢٤٧ – ٢٤٨ رقم ١٦٨٨) من حديث البراء، وزاد السيوطى فى الدر (٥/٢٠٤): ابن أبى حاتم، وابن مردويه. وقال الحافظ ابن كثير (٣/٤٧٣): تفرد به الإمام أحمد، وفى إسناده ضعف.

وفى الباب عن أبى أيوب، وابن عباس. وانظر تاريخ المدينة (١/١٦٥).

فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلاَّ يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لا يُوَلُّونَ الأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولاً

وقوله: ﴿فارجعوا﴾ أى: ارجعوا عن اتباع محمد ﷺ، وخذوا أمانكم من المشركين.

وقوله: ﴿ويستأذن فريق منهم النبى﴾ هؤلاء بنو سلمة وبنو حارثة، وقيل: غيرهم.

وقوله: ﴿يقولون إن بيوتنا عورة﴾ أى: ذات عورة، وقيل: مُعْوِرة يسهل عليها دخول السُّرَّاق، ويقال: إن بيوتنا عورة أى: ضائقة، وقال الفراء: عورة ذليلة الحيطان، وليست بحَريزة، وقرئ فى الشاذ: «عَوِرة» بفتح العين وكسر الواو، والمعنى يرجع إلى ما بينا.

وقوله: ﴿وما هى بعورة﴾ يعنى: إنهم كاذبون فى قولهم، وإنما يريدون الفرار، فهو معنى قوله تعالى: ﴿إن يريدون إلا فرارا﴾ وأنشدوا فى العورة:

حتى إذا ألقـت يـداً فـى كـافـر ... وأجـن عـورات الثغـور ظـلامـها

قوله تعالى: ﴿ولو دخلت عليهم من أقطارها﴾ أى: من نواحيها.

وقوله: ﴿ثم سئلوا الفتنة﴾ أى: الشرك، ويقال: القتال فى العصبية.

وقوله: ﴿لآتوها﴾ بالمد، وقرئ: «لأتوها»، فقوله «لآتوها» بالمد أى: لأعطوها، وقوله: «لأتوها». أى: [لقصدوها](1).

وقوله: ﴿وما تلبثوا بها إلا يسيراً﴾ أى: ما احتبسوا إلا يسيرا، وأعطوا ما طلب منهم طيبة بها أنفسهم.

قوله تعالى: ﴿ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لايولون الأدبار﴾ الأدبار: جمع

(1) فى «الأصل»: قصدوها، والمثبت من «ك».

﴿١٥﴾ قُلْ لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لاَّ تُمَتَّعُونَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ

الدبر، أى: لا ينهزمون. وذكر مقاتل وغيره أن هذا فى الذين بايعوا مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة، وقالوا: يارسول الله، اشترط لربك، فقال: أن تعبدوه و لاتشركوا به شيئا، فقالوا: اشترط لنفسك. فقال: أن تمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم وأولادكم» وكان الذين بايعوا ليلة العقبة [سبعين][(١)] نفرا، وأول من بايع أبو الهيثم بن التيهان، وهذا القول ليس بمرض؛ لأن أصحاب العقبة لم يكن فيهم شاك، ولا من يقول مثل هذا القول، وإنما الآية فى قوم عاهدوا أن يقاتلوا ولا يفروا حتى يقتلوا ونقضوا العهد.

وقوله: ﴿وكان عهد الله مسئولا﴾ أى: مسئولا عنه.

قوله تعالى: ﴿قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل﴾ يعنى: أن الأجل يدرككم فى وقته.

وقوله: ﴿وإذا لاتمتعون إلا قليلا﴾ معناه: إلى منتهى آجالكم، وفى بعض الحكايات: أن رجلا انهزم [فى][(٢)] بعض الحروب، فكان يلام على ذلك، ويقرأ عليه هذه الآية ﴿قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل إذًا لا تمتعون إلا قليلا﴾ فقال: ذلك القليل أطلب.

قوله تعالى: ﴿قل من ذا الذى يعصمكم من الله﴾ أى: يجيركم ويمنعكم.

وقوله: ﴿إن أراد بكم سوءًا﴾ أى: الهزيمة وظفر عدوكم بكم.

وقوله: ﴿أو أراد بكم رحمة﴾ أى: خيرا ونصرة.

وقوله: ﴿ولا يجدون لهم من دون الله وليًّا ولا نصيرًا﴾ أى: قريبا ينفعهم، وناصرا يمنعهم.

قوله تعالى: ﴿قد يعلم الله المعوقين منكم﴾ يقال: عاقه واعتاقه وعوّقه إذا صرفه

(١) فى «الأصل، وك»: سبعون، وهو خطأ.
(٢) فى «الأصل، وك»: من.

لإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ

عما يريده. ويقال: المعوقين منكم أى: المثبطين منكم.

وقوله: ﴿والقائلين لإخوانهم هلم إلينا﴾ أى: ارجعوا إلينا

وقوله: ﴿ولا يأتون البأس إلا قليلا﴾ أى: لايقاتلون إلا قليلا رياء وسمعة من غير حسبة، والآية نزلت فى قوم من المنافقين قالوا حين أحاط الجنود بالمسلمين: إن محمدا وقومه أَكَلَه رأس، والله لو كان محمد وأصحابه لحما لالتهمهم أبو سفيان وحزبه أى: ابتلعهم، وكانوا يقولون لأصحاب محمد ﷺ من الأنصار: دعوا محمدا، فإن محمدا يريد أن يقتلكم جميعا. وقال الكلبى فى قوله: ﴿إلا قليلا﴾ يعنى: إلا رميا بالحجارة.

قوله تعالى: ﴿أشحة عليكم﴾ أى: بخلا بالنصرة والموافقة فى القتال، وقال قتادة: بخلاء عند الغنيمة، فكأن الله تعالى قال: هم أحسن قوم عند القتال، وأشح قوم عند الغنيمة.

وقوله: ﴿فإذا جاء الخو ف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت﴾ والمغشى عليه من الموت قد ذهب عقله، وشخص بصره، وهو المحتضر الذى قرب من الموت.

وقوله ﴿فإذا ذهب الخوف سلقوكم﴾ قال الفراء: وقعوا فيكم بألسنة سليطة ذرية. وعن بعضهم: سلقوكم بألسنة حداد يعنى: عند طلب الغنائم، وعند المجادلات بالباطل، وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال: «البذاء (والبيان)[(١)] شعبتان من النفاق، والحياء والعيّ[(١)] شعبتان من الإيمان»[(٢)].

(١) قال الترمذى فى سننه: العيُّ: قلة الكلام، والبذاء هو الفحش فى الكلام، والبيان هو كثرة الكلام، مثل هؤلاء الخطباء الذين يخطبون فيوسعون فى الكلام، ويتفصحون فيه عن مدح الناس فيما لا يرضى الله أ.هـ.
(٢) رواه الترمذى (٤/٣٢٩ رقم ٢٠٢٧) وقال: حسن غريب، وأحمد (٥/٢٦٩)، وابن أبى شيبة (١١/٤٤ رقم ١٠٤٧٧) بشطره الثانى، وفى كتاب الإيمان له (٤٤ رقم ١٠٨)، والحاكم (١/٩) وصححه على شرطهما.

سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُوْلَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ الأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِن يَأْتِ الأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُم مَّا قَاتَلُوا إِلاَّ قَلِيلاً ﴿٢٠﴾

وتقول العرب: خطيب مِسلاق وسَلاق إذا كان بليغا فى الخطابة، وعن ابن عباس قال: سلقوكم أى: عضهوكم(١) وتناولوكم بالنقص والغيبة، قال الأعشى:

فيهم الخصب والسماحة والنجـــدة فيهــم والخاطــب السّــلاق

وقوله: ﴿أشحة على الخير﴾ قد بينا أنها عند الغنيمة.

وفى الخبر: «أن النبى ﷺ قال للأنصار: إنكم لتكثرون عند الفزع، وتقلون عند الطمع»(٢) أى: تجمعون عند القتال، وتتفرقون عند أخذ المال، وأما وصف المنافقين على الضد من هذا، فإنهم كانوا جبناء عند القتال، بخلاء عند المال.

وقوله: ﴿أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم﴾ أى: أبطل الله أعمالهم.

وقوله: ﴿وكان ذلك على الله يسيراً﴾ أى: سهلا.

قوله تعالى: ﴿يحسبون الأحزاب لم يذهبوا﴾ أى: من الجبن والخوف.

وقوله: ﴿وإن يأت الأحزاب﴾ أى: يرجعوا بعد الذهاب.

وقوله: ﴿يودوا لو أنهم بادون فى الأعراب﴾ البادون: خلاف الحاضرين، وهم الذين يسكنون البادية، وقوله: ﴿فى الأعراب﴾ أى: مع الأعراب.

وقوله: ﴿يسألون عن أنبائكم﴾ أى: [عن](٣) أخباركم، ومعنى سؤالهم عن الأخبار هو أن الظفر كان للمشركين، أو لمحمد وأصحابه.

وقوله: ﴿ولوكانوا فيكم ماقاتلوا إلا قليلا﴾ أى: تعذيرا، ومعنى تعذيرا أى:

(١) والعضة: هى الإفك والبهتان والنميمة، انظر اللسان (١٣/٥١٥).
(٢) عزاه فى الكنز (١٤/ رقم ٣٧٩٥١) للعسكرى فى الأمثال.
(٣) من «ك».

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ

يقاتلون شيئا يسيرا يقيمون به عذرهم، فيقولون قد قاتلنا.

قوله تعالى: ﴿لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة﴾ أى: قدوة حسنة، والتأسى: هو الاقتداء، وإنما ذكر الأسوة هاهنا حتى ينصروا (ويقومون)(١) ويصبروا على مايصيبهم، كما فعل رسول الله ﷺ فإنه كسرت رباعيته يوم أحد، وشُجَّ فى جبهته، وكسرت البيضة على رأسه(٢)، وقتل عمه(٣) فلم يفتر فى أمر الله، وصبر على جميع ذلك.

وقوله: ﴿لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾ أى: يرجو ثواب الله، وقيل: لمن كان يخشى الله واليوم الآخر، والرجاء يكون بمعنى الخشية، وقد يكون بمعنى الطمع.

وقوله: ﴿وذكر الله كثيراً﴾ أى: فى جميع المواطن على السراء والضراء.

قوله تعالى: ﴿ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله﴾ قال قتادة: معنى هذه الآية راجع إلى قوله تعالى فى سورة البقرة: ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله﴾(٤) والآية تتضمن أن المؤمنين يلقاهم ويستقبلهم مثل هذا البلاء، فلما رأوا ذلك يوم الخندق قالوا: هذا ماوعدنا الله ورسوله.

وعن بعضهم أن النبى ﷺ قال لأصحابه: «إن المشركين سائرون إليكم فنازلون بكم عشراً»(٥) أو كما قال فلما رأى المؤمنون الأحزاب [قالوا: هذا ما وعدنا الله

(١) فى «ك»: ويقيمونه، والأشبه: ويتبعونه.
(٢) ثبت ذلك من حديث سهل بن سعد مرفوعا، رواه البخارى فى صحيحه (٧/٤٣٠ - ٤٣١ رقم ٤٠٧٥)، ومسلم (١٢/٢٠٥ -٢٠٧ رقم ١٧٩٠)، وفى الباب أحاديث.
(٣) فيه أحاديث، منها ما رواه البخارى (٧/٤٢٤ -٤٢٥ رقم ٤٠٧٢) من حديث وحشى بن حرب.
(٤) البقرة: ٢١٤.
(٥) ذكره الحافظ الزيلعى فى تخريج الكشاف (٣/١٠٠) وبيض له، وقال الحافظ ابن حجر: لم أجده.

وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ

ورسوله](١) وقد ساروا إليهم ﴿ ومازادهم إلا إيمانا وتسليمًا ﴾ أى: تصديقًا بالله، وتسليما لأمر الله.

قوله تعالى: ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه ﴾ أى: قاموا بما عاهدوا الله عليه، ويقال: قاموا بالأمر على الوفاء والصدق .

وقوله: ﴿ فمنهم من قضى نحبه ﴾ النَّحْبُ يرد بمعانى كثيرة، وأولى المعانى أنه بمعنى العهد، فمعنى الآية: أتم العهد وقام به، قال الحسن البصرى: أى أقام بالوفاء والصدق. وقال ابن قتيبة: النحب هو النذر، ومعنى قضى نحبه هاهنا أى: قتل فى سبيل الله، كأن القوم بقبولهم الإيمان نذروا أن يموتوا على مايرضاه الله، فمن قتل فى سبيل الله فقد قضى نذره.

قال محمد بن إسحاق: الآية فى الذين استشهدوا يوم أحد، وهم حمزة – رضى الله عنه – ومن استشهد معه.

وقد ثبت برواية يزيد بن هارون، عن حميد، عن أنس – رضى الله عنه – أن عمه النضر بن أنس كان تخلف عن بدر فقال: تخلفت عن أول غزوة غزاها رسول الله ﷺ، لئن أرانى الله قتالا مع المشركين لَيَرَيَنَّ الله ماأصنع، فلما كان يوم أحد وانهزم المسلمون، ورأى ذلك النضر بن أنس قال: اللهم إنى أعتذر إليك ماجاء به هؤلاء – يعنى المسلمين – وأبرأ إليك مماجاء به هؤلاء – يعنى المشركين – ثم مضى بوجوه الكفار، فلقى سعد بن معاذ دون أحد، فقال له سعد: أنا معك، قال سعد: فلم أستطع أن أصنع ماصنع، فَوجِد به بضع وثمانون من ضربة سيف، وطعنة برمح، ورمية بسهم. وفى رواية أخرى: فلم تعرفه إلا أخته بثناياه. قال أنس: ففيه وفيمن استشهد نزل قوله: ﴿ فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ﴾ »(٢).

(١) من «ك».
(٢) متفق عليه من حديث أنس، رواه البخارى (٦/ ٢٦ رقم ٢٨٠٥، وطرفاه: ٤٠٤٨، ٤٧٨٣)، ومسلم (١٣/ ٧١ – ٧٢/ رقم: ١٩٠٣).

عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴿٢٣﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ

يعنى: من المؤمنين من بقى بعد هؤلاء الذين استشهدوا، وهم ينتظرون أحد الأمرين إما الشهادة فى سبيل الله وإما الظفر، وأنشدوا فى النحب شعراً:

قضى نحب الحياة وكل حى ... إذا يدعى لميتتـــه أجـابـــا

ومن المعروف أيضًا أن النحب هو الخطر العظيم. قال جرير فى النحب:

بطخفة جالدنــا الملوك وخيلنـا ... عشية بسطام جرين على نحب

أى: على الخطر العظيم

وقوله: ﴿ وما بدلوا تبديلا ﴾ أى: لم يتركوا ماقبلوه وعاهدوا عليه .

قوله تعالى: ﴿ ليجزى الله الصادقين بصدقهم ﴾ أى: جزاء صدقهم، وصدقهم هو وفاؤهم بالعهد .

وقوله: ﴿ ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم ﴾ فيهديهم للإيمان .

وقوله: ﴿ وكان الله غفوراً رحيمًا ﴾ أى: ستوراً عطوفًا .

قوله تعالى: ﴿ وردَّ الله الذين كفروا بغيظهم ﴾ أى: ردهم ولم يشتفوا من محمد وأصحابه، وقد كانوا قصدوا قصد الاستئصال.

وقوله: ﴿ لم ينالوا ﴾ أى: لم يظفروا بما أرادوا.

وقوله: ﴿ [خيرا](١) وكفى الله المؤمنين القتال ﴾ أى: بما أرسل من الريح عليهم، وفى بعض الروايات الغريبة عن ابن عباس: وكفى الله المؤمنين القتال أى: لعلى بن أبى طالب – رضى الله عنه – وقد كان قتل عمرو بن عبدود فى ذلك اليوم، وكان رأسًا من رءوس الكفار كبيراً فيهم، وضربه عمرو بن عبدود فى ذلك اليوم على رأسه

(١) من «ك».

اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ

ضربة فلما ضربه، ابن ملجم وقعت ضربة ابن ملجم على موضع ضربة عمرو بن عبدود، فهلك في ذلك رضي الله عنه .

وقوله : ﴿ وكان الله قويًا عزيزًا ﴾ أى : قويًا فى ملكه، عزيزا فى انتقامه .

قوله تعالى : ﴿ وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب ﴾ أى : عاونوهم من أهل الكتاب، وهم قريظة، وقد كانوا فى عهد النبى ﷺ، وسيدهم كعب بن أسد، وأما بنو النضير فسيدهم حيى بن أخطب، فلما أجلى رسول الله ﷺ بنى النضير إلى الشام، ذهب حيى بن أخطب، إلى قريش و(استنصرهم)[1]، وجمع الأحزاب وجاء بهم لقتال النبى ﷺ، ثم جاء إلى قريظة وحملهم على نقض العهد فى قصة طويلة، وعاهد معهم أن المشركين لو رجعوا ولم يظفروا دخل معهم في حصنهم ليصيبه ما يصيبهم، فلما هزم المشركون دخل معهم فى حصنهم، وأما قريظة فنقضوا العهد، وقصدوا حرب النبى ﷺ مع الأحزاب فى قصة مذكورة فى المغازى[2].

وقوله : ﴿ من صياصيهم ﴾ أى : من حصونهم، ومنه صياصى البقر أى : قرونها لأنها تمتنع بها .

وقوله : ﴿ وقذف فى قلوبهم الرعب ﴾ أى : الخوف .

وقوله : ﴿ فريقًا تقتلون ﴾ قتل رسول الله ﷺ من قريظة أربعمائة وخمسين، وفى رواية ستمائة[3]، وفيهم حيى بن أخطب وسادتهم، وكانوا يقولون : هذا ذبح كتبه الله على بنى إسرائيل .

وقوله : ﴿ وتأسرون فريقا ﴾ أسر منهم سبعمائة وخمسين، وفى رواية سبعمائة[3]

(١) فى « ك » : واستفزهم.
(٢) سيرة ابن هشام (٢ / ١٣١).
(٣) سيرة ابن هشام (٢ / ١٤٧ – ١٤٨)، ودلائل النبوة للبيهقى (٤ / ٢٠).

وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن

﴿ وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم ﴾ أى : أغنمكم .

وقوله : ﴿ وأرضًا لم تطئوها ﴾ أظهر الأقاويل : أنها خيبر، وقال عكرمة : جميع مافتح الله تعالى ويفتحه من أراضى المشركين إلى يوم القيامة . وعن بعضهم : فارس والروم .

وقوله : ﴿ وكان الله على كل شىء قديرًا ﴾ أى : قادراً .

وأما قصة قتل قريظة [فهو على][1] ماروى « أن النبى ﷺ لما رجع من الخندق إلى بيته ووضع لامته – أى : درعه – واغتسل جاء جبريل – عليه السلام – على فرس ودعاه، فلما خرج من بيته قال : أتضع سلاحك ولم تضع الملائكة أسلحتهم! وكان الغبار على وجهه ووجه فرسه، وقال : ياجبريل، إلى أين؟ قال : إلى قريظة »[2]، « فخرج النبى ﷺ وخرج أصحابه إلى قريظة، ونادى فى أصحابه : لايصلين أحد منكم العصر إلا فى [بنى][3] قريظة، فلم يصلوا حتى غربت الشمس، فبعضهم صلى العصر، وبعضهم لم يصل حتى وصل، فلم يعنف واحداً من الفريقين »[4] وحاصرهم إحدى وعشرين ليلة، ونزلوا على حكم سعد بن معاذ، وكانوا حلفاءه في الجاهلية – وسعد بن معاذ سيد الأوس، وسعد بن عبادة سيد الخزرج – فلما نزلوا على حكمه، وكان سعد مريضًا بالمدينة – فى بيته برمية أصابت أكحله يوم الخندق، وكان الدم لايرقأ، فدعا الله تعالى وقال : اللهم أبقنى حتى ترينى ما يقر عينى فى قريظة، فرقأ الدم .

(١) فى « الأصل وك » : على فهو .
(٢) متفق عليه من حديث عائشة، رواه البخارى (٦ / ٣٧ رقم ٢٨١٣، وأطرافه : ٤٦٣، ٣٩٠١، ٤١١٧، ٤١٢٢)، ومسلم (١٢ / ١٣٤ – ١٣٥ رقم ١٧٦٩).
(٣) من « ك » .
(٤) متفق عليه من حديث ابن عمر، رواه البخارى (٢ / ٥٠٦ رقم ٩٤٦، ٤١١٩)، ومسلم (١٢ / ١٣٩ رقم ١٧٧٠).

كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً ﴿٢٨﴾ وَإِن

فلما نزلوا على حكمه استحضره رسول الله ﷺ، فجاء على حمار موكف وقد حف به قومه، وجعلوا يقولون له: حلفاؤك ومواليك، فقال سعد: قد آن لسعد أن لا تأخذه فى الله لومة لائم، فلما جاء إلى النبى ﷺ قال عليه الصلاة والسلام للأنصار: قوموا إلى سيدكم،ثم إنه حكم بأن يقتل المقاتلة، وتسبى الذرية، ويقسم المال، فقال له النبى ﷺ: حكمت بحكم الملك. وروى أنه قال: حكمت بحكم الله من فوق عرشه، ثم إنه فعل بهم ماحكم، ثم إن سعداً قال لما قتلوا: اللهم إن كنت أبقيت حربا بين رسولك وبين قريش فأبقنى لها، وإن كنت قد وضعت الحرب بين رسولك وبين قريش فاقبضنى إليك، فانفجر كلمه فى الحال، فلم يرعهم إلا والدم يسيل إليهم، وتوفى فى ذلك رضى الله عنه(١).

قوله تعالى: ﴿ يأيها النبى قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها ﴾ الآية. قال المفسرون: سبب نزول الآية أن نساء النبى ﷺ سألنه شيئا من الدنيا، ولم يكن عنده، وطلبن منه زيادة فى النفقة، وآذَيْنَهَ بغيرة بعضهن على بعض؛ فأنزل الله تعالى آية التخيير .

وحكى النقاش فى تفسيره عن الضحاك: أن زينت بنت جحش سألته ثوبا ممصراً،(٢) وهو البرد المخطط، وميمونة سألته حلة يمانية، وأم حبيبة سألته ثوبا من ثياب خضر، وجويرية سألته معجراً، وعن بعضهن: أنها سألته قطيفة، ولم يكن عنده شيء من ذلك. وحكى أنهن قلن: لو كنا عند غيره كان لنا حليا وثيابا، فأنزل الله تعالى آية التخيير. وقد ثبت أن النبى ﷺ آلى منهن شهراً واعتزل فى غرفة فى قصة

(١) متفق عليه بنحوه من حديث أبى سعيد الخدرى، رواه البخارى (٦ / ١٩١ رقم ٣٠٤٣، وأطرافه: ٣٨٠٤، ٤١٢١، ٦٢٦٢)، ومسلم (١٢ / ١٣٢ - ١٣٤ رقم ١٧٦٨).

وقد روى الحديث بطوله بنحو سياق المصنف، وبعضهم يزيد عليه أو ينقص منه: الإمام أحمد فى مسنده (٦ / ١٤١ - ١٤٢)، وابن سعد (٣ / ٣٢٢ - ٣٢٣)، وابن أبى شيبة (١٤ / ٤٠٨ - ٤١١ رقم ١٨٦٤٣)، وابن حبان فى صحيحه (١٥ / ٤٩٨ - ٥٠١ رقم ٧٢٠٨).

(٢) قال أبو عبيد: الثياب الممصرة التى فيها شيء من الصفرة ليس بالكثيرة (لسان العرب ٥ / ١٧٦).

كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ

طويلة(١).

وفى بعض الروايات عن ابن عباس أن النبى ﷺ كان فى بيت حفصة فتشاجرا، فقال لها رسول الله ﷺ: أجعل بينى وبينك رجلا، أتريدين أباك؟ قالت: نعم، فدعا عمر – رضى الله عنه – فلما دخل قال النبى ﷺ لحفصة: تكلمى.

فقالت حفصة: يارسول الله، تكلم ولاتقل إلا حقا. فرفع عمر يده وضرب وجهها، وقال: ياعدوة نفسها، أتقولين هذا لرسول الله ﷺ؟ ثم إن رسول الله ﷺ آلى منهن شهراً واعتزل، وأنزل الله تعالى آية التخيير، فلما أنزل الله آية التخيير بدأ بعائشة رضى الله عنها.

وقد ثبت هذا برواية الزهرى، عن أبى سلمة، عن عائشة أن النبى ﷺ بدأ بها لما أنزل الله تعالى آية التخيير، قالت عائشة: فدخل على وقال: «يا عائشة، إنى ذاكر لك أمراً فلا عليك أن تعجلى حتى تستأمرى أبويك، وقد علم أن أبوىَّ لا يأمرانى بفراقه، ثم تلا على الآية، فقلت: أفى هذا أستأمر أبوایَّ؟ لقد اخترت الله ورسوله والدار الآخرة، ثم عرض ذلك على سائر نسائه؛ فقلن مثل ذلك»(٢). وروى هذا الخبر البخارى عن أبى اليمان، عن شعيب، عن الزهرى، والإسناد كما بينا من قبل، وأما أزواجه اللاتى خيرهن فكن تسعاً، خمسة قرشيات هن: عائشة بنت أبى بكر، وحفصة بنت عمر، وأم سلمة بنت أمية، وأم حبيبة بنت أبى سفيان، وسودة بنت زمعة، وأما غير القرشيات: فزينب بنت جحش الأسدية، وصفية بنت حيى الخيبرية، وميمونة بنت الحارث الهلالية، وجويرية بنت الحارث المصطلقية .

(١) متفق عليه من حديث عمر بطوله، رواه البخارى (٨ / ٥٢٥ - ٥٢٦ رقم ٤٩١٣)، ومسلم (١٠ / ١١٨ - ١٣١ رقم ١٤٧٩).

(٢) متفق عليه من حديث عائشة، رواه البخارى (٨ / ٣٧٩ - ٣٨٠ رقم ٤٧٨٥، ٤٧٨٦)، ومسلم (١٠ / ١١٣ - ١١٤، ١٣١ - ١٣٢ رقم ١٤٧٥)، وهو جزء من حديث عمر الطويل الذى تقدم من رواية مسلم فقط.

قال المفسرون: فلما اخترنه شكر الله تعالى لهن ذلك، فنهى النبى ﷺ أن يتزوج بسواهن أو يتبدل بهن، وذلك فى قوله تعالى: ﴿لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن﴾(١) وسنذكر حكم ذلك من بعد، واختلف العلماء فى هذا الخيار، أكان طلاقا؟ وإنما خيرهن على إن اخترن الدنيا فارقهن بلا طلاق، وإن اخترنه أمسكهن، وذهب جماعة إلى أن هذا الخيار كان طلاقا فكأنه خيرهن، ولو اخترن أنفسهن كان طلاقا .

واختلف الصحابة فى الرجل يقول لامرأته: اختارى. فتقول: اخترت نفسى، فذهب عمر إلى أنها لو اختارت زوجها لاتكون شيئا، وإن اختارت نفسها فطلقة واحدة، والزوج أحق برجعتها .

وقال علىٌّ: إن اختارت زوجها فطلقة واحدة، والزوج أحق برجعتها، وإن اختارت نفسها فواحدة بائنة، ولايملك الزوج رجعتها، وذهب إلى أنها إن اختارت زوجها فواحدة رجعية، وإن اختارت نفسها فثلاث، وقد قيل غير هذا. وهذه الأقوال الثلاثة هى المعروفة، وقد ذهب إلى كل قول من هذه الأقوال جماعة من العلماء، والدليل على أنها إذا اختارت زوجها لاتكون طلاقا أن عائشة قالت: خيرنا رسول الله ﷺ فاخترناه، أفكان طلاقا؟!(٢)

وقوله: ﴿فتعالين أمتعكن﴾ أى: متعة الطلاق، وقد بينا فى سورة البقرة .

وقوله تعالى: ﴿وأسرحكن سراحًا جميلا﴾ السراح الجميل هو المفارقة الجميلة، وذلك من غير تعنيف ولا أذى .

قوله تعالى: ﴿وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات﴾ والمحسنات هى اللاتى اخترن الله ورسوله والدار الآخرة، وجميع نساء النبى ﷺ قد اخترن ذلك ، فجميعهن محسنات. ويجوز أن تذكر «من» ولا تكون للتبعيض، فلا يدل ذلك على أن منهن من ليست بمحسنة .

(٢) الأحزاب: ٥٢ .
(٢) متفق عليه من حديث عائشة، رواه البخارى (٩/ ٢٨٠ رقم ٥٢٦٣)، ومسلم (١٠/ ١١٥ – ١١٦ رقم ١٤٧٧).

ذَلكَ عَلَى اللَّه يَسيرًا ﴿٣٠﴾ وَمَن يَقْنُتْ منكُنَّ للَّه وَرَسُوله وَتَعْمَلْ صَالحًا نُّؤْتهَا أَجْرَهَا

وقوله: ﴿أجرًا عظيمًا﴾ وفى التفسير: أن الله تعالى خيرهن بين الدنيا والآخرة، وبين الجنة و النار، فاخترن الآخرة على الدنيا، والجنة على النار .

قوله تعالى: ﴿يا نساء النبى من يأت منكن بفاحشة مبينة﴾ فإن قيل: أيدل هذا الخطاب على أن منهن من أتت بفاحشة أو تأتى بفاحشة؟ قلنا: لا، كما أن الله تعالى قال للنبى ﷺ: ﴿لئن أشركت ليحبطن عملك﴾(١) وهذا لايدل على أنه قد أتى بشرك أو يأتى .

جواب آخر: أنه قد حكى عن ابن عباس أنه قال: الفاحشة هاهنا بمعنى النشوز وسوء الخلق .

وقوله: ﴿يُضَاعَفُ لها العذاب ضعفين﴾ وقرئ: «يُضْعَّفُ» من التضعيف، وقرئ: «نُضَعِّفُ» بالنون، فقوله: ﴿نضعف﴾ بالنون ظاهر المعنى، وهو نسبة الفعل إلى نفسه، وقوله: «يضعف» و «يضاعف» خبر .

وقوله: ﴿ضعفين من العذاب﴾ أى: مثلى عذاب غيرها، فإن قيل: ولم تستحق مثلى عذاب غيرها؟ قلنا: لشرف حالها بصحبة النبى ﷺ، وهذا كما أن الحرة تحد مثلى حد الأمة لشرف حالها. وقد استدل أبو بكر الفارسى فى أحكام القرآن بهذه الآية على أنهن أشرف نساء العالم .

وقوله: ﴿وكان ذلك على الله يسيرا﴾ أى: هينا، وقد ذكر بعضهم أن قوله: ﴿يضاعف لها العذاب﴾ يقتضى ثلاثة أَعْذبَة؛ لأن ضعف الواحد مثلاه، والأصح هو الأول .

قوله تعالى: ﴿ومن يقنت منكن لله ورسوله﴾ القنوت هو المداومة على الطاعة، ومنه القنوت فى الصلاة، وهو المدوامة على الدعاء .

وقوله: ﴿وتعمل صالحًا نؤتها أجرها مرتين﴾ أى: مثلى أجر غيرها، وهذا على

(١) الزمر: ٦٥ .

مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا

طريق مقابلة الثواب بالعقاب.

وقوله: ﴿وأعتدنا لها رزقًا كريمًا﴾ أي: الجنة.

قوله تعالى: ﴿يا نساء النبي لستن كأحد من النساء﴾ فإن قيل: هلا قال كواحدة من النساء؟ و الجواب، أنه قال: ﴿كأحد من النساء﴾ ليكون أعم في الكل.

وقوله: ﴿إن اتقيتن﴾ التقوى هي الاحتراز عن المعاصي، والحذر عما نهى الله عنه.

وقوله: ﴿فلا تخضعن بالقول(١)﴾ أي: لا تلنَّ في القول، ولا ترققن فيه. ويقال: الخضوع في القول أن تتكلم على وجه يقع بشهوة المريب.

وقوله: ﴿فيطمع الذي في قلبه مرض﴾ قال قتادة: أي النفاق، وقال عكرمة: شهوة الزنا.

وقوله: ﴿وقلن قولا معروفًا﴾ أي: قولا يوجبه الدين والإسلام بصريح وبيان.

قوله تعالى: ﴿وقرن في بيوتكن﴾ وقرئ بكسر القاف؛ فقوله بالكسر من السكون والهدوء وترك الخروج. والقراءة بالنصب تحتمل هذا، وتحتمل الأمر بالوقار. وعن ابن مسعود – رضي الله عنه – أنه قال: ما تعبدت الله امرأة بمثل تقوى الله وجلوسها في بيتها. وفي بعض الآثار، أنه قيل لسودة: ألا تخرجين كما تخرج أخواتك؟ قالت: قد حججت واعتمرت، وقد أمرني الله تعالى أن أ قَرَّ في بيتي، فلا أريد أن أعصي الله تعالى، فلم تخرج من بيتها حتى أخرجت على جنازتها.

وقوله: ﴿ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾ قال المبرد: التبرج هو أن تظهر من

(١) في «الأصل وك»: في القول.

يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ

نفسها ما أمرت بستره. وعن ابن أبي نجيح قال: هو التبختر. وعن قتادة قال: المشي بالتغنج والتكسر. وعن مجاهد قال: هو المشي بين يدي الرجال.

وأما الجاهلية الأولى فقيل: هي زمان نمروذ، وقد كانت المرأة تخرج وعليها قميص من لؤلؤ ثم تخيط جانباه، وعن بعضهم: ما بين نوح وإدريس، وعن الشعبي: ما بين عيسى ومحمد – عليهما الصلاة و السلام – ويقال: إن أول ما ظهر من الفاحشة في بني آدم أنه كان بطنان من بني آدم أحدهما يسكنون الجبل، والآخر يسكنون السهل، وكان رجال الجبل صباحًا، وفي النساء دمامة، ونساء السهل صبيحات، وفي الرجال دمامة، فاحتال إبليس حيلةً حتى أتخذَ عيدًا، وجمع بينهم فارتكب بعضهم من بعض الفاحشة. وذكر بعضهم أن في الجاهلية الأولى [كانت المرأة تكون](١) بين رجلين، فنصفها الأسفل لأحدهما والأعلى للآخر، فيجتمع على المرأة زوجها وحبها، و قال في ذلك بعضهم شعرًا:

أترغب في البدال أبا جبير — وأرضى بالكواعب والعجوز

وأما الجاهلية الأخرى فقوم يفعلون مثل فعلهن وذلك في آخر الزمان، وقال بعضهم: يجوز أن يذكر الأولى وإن لم يكن لها أخرى، ألا ترى أن الله تعالى قال: ﴿وأنه أهلك عادًا الأولى﴾(٢) ولم يكن لها أخرى.

وقوله: ﴿وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله﴾ ظاهر المعنى.

وقوله: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت﴾ في الآية أقوال: روى سعيد بن جبير عن ابن عباس: أنها نزلت في نساء النبي ﷺ، وقد [قاله](٣) عكرمة وجماعة.

(١) في «الأصل وك»: كان تكون المرأة.
(٢) النجم: ٥٥
(٣) في «الأصل، وك»: قال، والمثبت هو الصواب، وانظر تفسير ابن كثير (٣/ ٤٨٣).

وذهب أبو سعيد الخدرى وأم سلمة وجماعة كثيرة من التابعين منهم مجاهد وقتادة وغيرهما أن الآية فى أهل بيت النبى ﷺ، وهم علىّ وفاطمة والحسن والحسين.

وروت أم سلمة «أن النبى ﷺ كان فى بيتها وعنده على وفاطمة والحسن والحسين، فأنزل الله تعالى هذه الآية فَجَلَّلَهُمْ بكساء وقال: اللهم؛ هؤلاء أهل بيتى. قالت أم سلمة: فقلت: يارسول الله، وأنا من أهل بيتك، فقال: إنك إلى خير»(١). ذكره أبو عيسى فى جامعه.

وروى أيضا بطريق أنس «أن النبى ﷺ كان يمر بعد نزول هذه الآية على بيت فاطمة بستة أشهر، ويقول: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً»(٢).

واستدل من قال بهذا القول أن الله تعالى قال: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس﴾ ولم يقل: «عنكن»، ولو كان المراد به نساء النبى ﷺ لقال: «عنكن» ألا ترى أنه فى الابتداء والانتهاء لما كان الخطاب مع نساء النبى ﷺ خاطبهن بخطاب الإناث.

والقول الثالث: أن الآية عامة فى الكل، وهذا أحسن الأقاويل، فآله قد دخلوا فى الآية، ونساؤه قد دخلن فى الآية. واستدل من قال: إن نساءه قد دخلن فى الآية؛ أنه قال: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت﴾ وأهل بيت الرسول هن نساؤه؛ (ولأنه تقدم ذكر نسائه)(٣)، والأحسن ما بينا من التعميم.

(١) رواه الترمذى (٥/٣٢٧ – ٣٢٨ رقم ٣٢٠٥، ٥/٦٢١ – ٦٢٢) وقال: غريب،وقال فى موضع آخر (٥/٦٥٦ – ٦٥٧ رقم ٣٨٧١): حسن، وهو أحسن شىء روى فى الباب، وأحمد (٦/٢٩٨، ٣٠٤)، والبخارى فى تاريخه (٢/٦٩ – ٧٠)، وابن جرير (٢٢/٦)، والطبرانى (٣/٥٢ – ٥٣ رقم ٢٦٦٢ – ٢٦٦٥)، والحاكم (٢/٤١٦، ٣/١٤٦) وصححه على شرط البخارى.

(٢) رواه الترمذى (٥/٣٢٨ رقم ٣٢٠٦) وقال: حسن غريب، وأحمد (٣/٢٥٩، ٢٨٥)، وعبد بن حميد (٣٦٧ – ٣٦٨، رقم ١٢٢٣)، والطبرى فى تفسيره (٢٢ / ٥ – ٦)، والطبرانى (٣/٥٦ رقم ٢٦٧١)، والحاكم (٣/١٥٨) وصححه على شرط مسلم.

وعزاه السيوطى فى الدر (٥/٢١٦) لابن أبى شيبة، وابن المنذر، وابن مردويه، بالإضافة لما سبق.

(٣) فى «الأصل وك»: ولأنه تقدم وتأخر ذكر نسائه. فقوله: تأخر مقحمة هنا، والله أعلم.

فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ

وقد روى أن زيد بن أرقم سئل: مَنْ آل النبى ﷺ؟ فقال: هم الذين حرم عليهم الصدقة. وأما الرجس فمعناه: ما يدعو إلى المعصية. وقال بعضهم: عمل الشيطان. والرجس فى اللغة هو كل مستقذر مستخبث.

وقوله: ﴿ويطهركم تطهيراً﴾ أى: من المعاصى بتقوى الله تعالى، وذهب بعض (أصحاب)(١) الخواطر إلى أن معنى قوله: ﴿ويذهب عنكم الرجس﴾ أى: الأهواء والبدع ﴿ويطهركم تطهيراً﴾ بالسنة، وقال بعضهم: يذهب عنكم الرجس أى: الغل والحسد ﴿ويطهركم تطهيراً﴾ بالتوفيق والهداية، وقال بعضهم: يذهب عنكم الرجس: البخل والطمع ﴿ويطهركم تطهيراً﴾ بالقناعة والإيثار، والتفسير ما بينا من قبل.

قوله تعالى: ﴿واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله و الحكمة﴾ أى: القرآن والسنة.

وقوله: ﴿إن الله كان لطيفاً خبيراً﴾ أى: رحيماً بهم، خبيراً بأعمالهم.

قوله تعالى: ﴿إن المسلمين و المسلمات﴾ سبب نزول الآية ما روى أن أم سلمة قالت: «يارسول الله، ما بال الرجال يذكرون فى القرآن، ولايذكر النساء، ونخشى ألا يكون فيهن خير»(٢).

وفى رواية أسماء بنت عميس: قدمت من الحبشة فدخلت على نساء النبى ﷺ: وقالت لهن: هل ذكر الله تعالى النساء بخير فى القرآن؟ قلن: لا. قالت: هذا هو

(١) فى «ك»: أهل

(٢) رواه الترمذى (٥/٢٢١ رقم ٣٠٢٢) وقال: مرسل، والنسائى فى الكبرى (٦/٤٣١ رقم ١١٤٠٤ – ١١٤٠٥)، وأحمد (٦/٣٠١، ٣٠٥)، والطبرى (٢٢/٨ –٩)، والطبرانى (٢٣/ رقم ٥٥٤، ٦٥٠، ٦٦٥)، والحاكم (٢/٤١٦) وصححه على شرطهما.

الخيبة والخسار، أخشى ألا يكون لله فيهن حاجة، ثم أتت النبى ﷺ وذكرت ذلك له »(١).

وفى رواية ثالثة: «أن التى قالت ذلك أم عمارة الأنصارية، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وذكر النساء بخير كما ذكر الرجال »(٢).

قوله تعالى: ﴿إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات﴾ قد بينا معنى الإسلام ومعنى الإيمان، وقد فرق بعض أهل السنة بين الإيمان والإسلام، ولم يفرق بعضهم. والمسألة فيها كلام كثير.

وقوله: ﴿والقانتين والقانتات﴾ المطيعين والمطيعات.

وقوله: ﴿والصادقين والصادقات﴾ أى الصادقين فى إيمانهم، والصادقات فى إيمانهن. يقال: إن المراد بالصدق هو صدق القول فى جميع الأشياء.

وقوله: ﴿والصابرين والصابرات﴾ أى: الصابرين على الطاعة، و الصابرين عن المعصية، وكذلك معنى الصابرات.

وقال قتادة: الصبر عن المعصية أفضل من الصبر على الطاعة، وعليه الأكثرون.

وقوله: ﴿والخاشعين والخاشعات﴾ أى: المتواضعين والمتواضعات. ويقال: إن المراد بالخشوع هو الخشوع فى الصلاة.

وعن سعيد بن جبير قال: الخشوع فى الصلاة ألا يعلم من على يمينه ولا من على

(١) أورده الواحدى فى أسباب النزول (٢٦٨) عن مقاتل بن حيان بلغنى أن أسماء بنت عميس فذكره. وعزاه الحافظ فى موافقه الخبر الخبر (٢/٢٥) لمقاتل فى تفسيره.

(٢) رواه الترمذى (٥/٣٣٠ رقم ٣٢١١) وقال: حسن غريب، والطبرانى فى الكبير (٢٥/ رقم ٥١، ٥٢، ٥٣). وعزاه السيوطى فى الدر (٥/٢١٧) للفريابى، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن مردويه. وقال الحافظ ابن حجر فى موافقة الخبر الخبر (٢/٢٤): هذا حديث حسن، ورجاله رجال الصحيح، لكن اختلف فى وصله وإرساله.

يساره. وقال غيره: من الخشوع أن لا تلتفت.

وقوله: ﴿والمتصدقين والمتصدقات﴾ أى: المتصدقين على الفقراء والمتصدقات عليهم.

وقوله: ﴿والصائمين والصائمات﴾ معلوم. وروى عن بعضهم: من صام ثلاثة أيام فى كل شهر فهو من الصائمين والصائمات، ومن تصدق فى كل أسبوع بدرهم فهو من المتصدقين، ومن لم يلتفت فى صلاته فهو من الخاشعين، أورده النقاش فى تفسيره.

وقوله: ﴿والحافظين فروجهم والحافظات﴾ أى: من ارتكاب الفواحش.

وحكى النقاش: أن من لم يزن فهو من الحافظين لفروجهم.

وقوله: ﴿والحافظات﴾ أى: والحافظاتها(١).

وقوله: ﴿والذاكرين الله كثيرا والذاكرات﴾ أى: والذاكراته، قال الشاعر:

فكُمَيْتًا مدماة كأن متونها ... جرى فوقها واستشعرتْ لَوْنُ مُذْهَبِ

يعنى: جرى فوقها لون مذهب واستشعرته.

وأما الذكر الكثير، فروى عن مجاهد أنه قال: لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيراً حتى يذكره قائما وقاعدا ومضطجعا.

وروى الضحاك بن مزاحم، عن ابن عباس أن النبى ﷺ قال: «من قال سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، كتب من الذاكرين الله كثيرا، وتحات عنه خطاياه كما يتحات الورق عن الشجر، ونظر الله إليه، ومن نظر إليه (لم)(٢) يعذبه».

وفى بعض المسانيد برواية أبى سعيد الخدرى أن النبى ﷺ قال: «أيما رجل أيقظ

(١) أى: الحافظات فروجهن. انظر القرطبى (١٤/ ١٨٥).

(٢) فى «ك»: لا.

لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا

امرأته من الليل، فقاما وتوضيا وصليا ركعتين، كتبا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات»(١).

وقوله: ﴿أعد لهم مغفرة وأجراً عظيماً﴾ أى: مغفرة للذنوب، وأجراً عظيما: هو الجنة.

قوله تعالى: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة﴾ الآية نزلت فى شأن زينب بنت جحش وأخيها عبد الله بن جحش، وكانا ولدى عمة رسول الله ﷺ، وهى أميمة بنت عبد المطلب، فكانا من قبل الأب من بنى أسد من أولاد غنم بن دودان، فروى «أن النبى ﷺ خطب زينب لزيد بن حارثة مولاه، فكرهت ذلك، وقالت: أنا بنت عمتك، أتزوجنى من مولاك؟! وكذلك كره أخوها، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿وما كان لمؤمن﴾ أى: عبد الله بن جحش ﴿ولا مؤمنة﴾ أى: زينب»(٢).

وقوله: ﴿إذا قضى الله ورسوله أمراً﴾ أى: أراد الله ورسوله أمرا، وذلك هو نكاح زيد لزينب.

---

(١) رواه أبو داود (٢/ ٣٣ رقم ١٣٠٩)، والنسائى فى الكبرى (٦/ ٤٣٢ رقم ١١٤٠٦)، وابن ماجه (١/ ٤٢٣ – ٤٢٤ رقم ١٣٣٥)، وابن حبان فى صحيحه (٦/ ٣٠٧ – ٣٠٩ رقم ٢٥٦٨، ٢٥٦٩)، والحاكم (٢/ ٤١٦) وصححه على شرطهما، والبيهقى (٢/ ٥٠١) من حديث أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة معا مرفوعًا به.

ورواه أبو داود، ومن طريقه البيهقى عن أبى سعيد موقوفا.

وعزاه فى الدر (٥/ ٢١٧) لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وابن مردويه.

(٢) رواه الطبرانى (٢٤/ رقم ١٠٩)، والدارقطنى (٣/ ٣٠١)، والبيهقى (٧/ ١٣٦ – ١٣٧)، وأبو نعيم فى الحلية (٢/ ٥١ – ٥٢)، وابن عساكر (١٩/ ٣٥٧ رقم ٤٤٨٠) عن زينب بنحوه، وفيه ذكر أختها حمنة دون ذكر عبد الله.

وقال الزيلعى فى تخريج الكشاف (٣/ ١١٠): الحسين بن أبى السدى ضعفه أبو داود وغيره، وحفص بن سليمان الأسدى، قال البخارى: تركوه. وضعَّف إسناده الحافظ ابن حجر فى تلخيصه على تخريج الكشاف.

وقد ورد ذكر أخيها فى حديث الكميت بن زيد بنحوه مطولا، رواه الطبرانى والبيهقى، وابن عساكر، كما فى الدر (٥/ ٢٢٠).

أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي

وقوله: ﴿أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾ أى: يكون لهم الاختيار، والمعنى: أن يريد غير ما أراد الله، أو يمتنع مما أمر الله ورسوله به.

وقوله: ﴿ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا﴾ أى: أخطأ خطأ ظاهراً؛ فلما سمعا ذلك سلما الأمر، وزوجها رسول الله ﷺ من زيد بن حارثة.

قوله تعالى: ﴿وإذ تقول للذى أنعم الله عليه﴾ أى: أنعم الله عليه بالإسلام.

وقوله: ﴿وأنعمت عليه﴾ أى: بالعتق، وهو زيد بن حارثة، وقد كان جرى عليه سبى فى الجاهلية، فاشتراه رسول الله ﷺ وأعتقه وتبناه على عادة العرب.

وقوله: ﴿أمسك عليك زوجك﴾ أى: امرأتك، وأما سبب نزول هذه الآية: «أن النبى ﷺ لما زوج زينب من زيد ومضت على ذلك مدة، دخل عليها رسول الله ﷺ يوما فرآها قائمة، وكانت بيضاء جميلة ذات خلق، وهى فى درع وخمار، فلما رآها وقعت فى قلبه وأعجبه حسنها، وقال: سبحان مقلب القلوب. وسمعت ذلك زينب، وخرج رسول الله ﷺ وفى قلبه ما شاء الله، فلما دخل عليها زيد ذكرت ذلك له»(١). وفى بعض التفاسير: «أن زيداً جاء يشكو زينب، وكانت امرأة لَسِنَةً، فذهب رسول الله ﷺ ليعظها، فكان الأمر على ما ذكرنا، ثم إن زيدا أتى رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله، إنى أشكو إليك سوء خلق زينب، وإن فيها كِبْراً، وإنى أريد أن أطلقها، فقال له رسول الله ﷺ: أمسك عليك زوجك – أى امرأتك – واتق الله فى أمرها»(٢).

---

(١) رواه الطبرى فى تفسيره (٢٢/ ١٠ – ١١) عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم بنحوه مرسلا، ورواه ابن سعد (٨/ ٨٠ – ٨١)، والحاكم فى مستدركه (٤/ ٢٣ – ٢٤) من طريق محمد بن يحيى بن حبان مرسلا بنحوه.

وذكر السيوطي فى الدر (٥/ ٢١٨ – ٢٢١) عدة روايات مرسلة أخرى، وقد أحسن الحافظ ابن كثير إذ لم يورد منها شيئًا بل قال (٣/ ٤٩١): ذكر ابن أبى حاتم وابن جرير ههنا آثاراً عن بعض السلف رضى الله عنهم أحببنا أن نضرب عنها صفحا لعدم صحتها فلا نوردها.

(٢) تقدم فى الذى قبله.

نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا

وقوله: ﴿وتخفى فى نفسك ما الله مبديه﴾ قال قتادة: هو محبته لها. وقال الحسن: ودَّ النبى ﷺ طلاقها ولم يظهره. وذكر على بن الحسين أن معنى الآية: هو أن الله تعالى كان أخبره أن زيداً يطلقها وهو يتزوج بها، فالذى أخفاه هو هذا، وهذا القول هو الأولى وأليق بعصمة الأنبياء. ومنهم من قال: الذى أخفى فى نفسه هو أنه لو طلقها زيد تزوج بها، وهذا أيضا قولٌ حسنٌ.

وقوله: ﴿وتخشى الناس﴾ أى: تستحى من الناس، ويقال: تخشى مقالة الناس ولائمتهم، وأنهم يقولون إنه تزوج بامرأة ابنه.

وقوله: ﴿والله أحق أن تخشاه﴾ فإن قيل: هذا يدل على أنه لم يخش الله فيما سبق منه فى هذه القصة. والجواب من وجهين: أحدهما: أن معنى قوله: ﴿والله أحق أن تخشاه﴾ ابتداء كلام فى جميع الأشياء، وقد أمر الله تعالى جميع عباده بالخشية فى عموم الأحوال.

والجواب الثانى: أنك أضمرت شيئا ولم تظهره، فإن خشيت الله تعالى فى إظهاره فاخشه فى إضماره. وحقيقة المعنى: أنه لاخشية إلا من الله فيما تظهر و[إلا](1) فيما تضمر، فلا تراقب الناس.

فإن قيل: إذا كان قد ود أن يطلقها كيف قال أمسك عليك زوجك؟ والجواب: أن ذاك الود ود طبع وميل نفس، والبشر لايخلو عنه.

وأما قوله: ﴿أمسك عليك زوجك واتق الله﴾ أمر بالمعروف، وليس عليه إثم فيما يقع فى قلبه من غير اختياره، وعلى أنا قد ذكرنا سوى هذا من الأقوال، وقد ثبت برواية مسروق عن عائشة أنها قالت: «لو كتم النبى ﷺ شيئا من الوحى لكتم هذه الآية»(2)، وروى أنه لم تكن آية أشد عليه من هذه الآية.

وقوله: ﴿فلما قضي زيد منها وطراً زوجناكها﴾ فى التفسير: أن زيداً لما أخبر

(1) كذا فى المخطوطتين، وأظنها مقحمة.

(2) متفق عليه، رواه البخارى (13 / 512 رقم 7531)، ومسلم (3/11 – 14 رقم 177).

بالأمر طلقها، وقد ذكر بعضهم: أن النبى ﷺ تركها حتى انقضت عدتها ثم تزوجها»(1).

وليس فى أكثر التفاسير ذكر عدة، ولا ذكر تزويج من ولى، وإنما المنقول أن زيدا طلقها، وأن الله زوجها منه، وهو ظاهر.

قوله تعالى ﴿فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها﴾ وقوله: ﴿وطراً﴾ أى: حاجة، وهو بلوغ منتهى ما فى النفس، قال الشاعر:

أيهــا الرايح المجد ابتكـــارا   قد قضى من تهامة الأوطارا

وقال جرير:

وبان الخليط غداة الجنــاب   ولم تقض نفسك أوطارها

وقد ثبت فى الصحيحين: أن زينب كانت تفتخر على سائر زوجات النبى ﷺ وتقول: زوجكن أهلوكن، وزوجنى الله من فوق سبع سموات»(2).

وروى «أن النبى ﷺ لما أراد أن يتزوجها بعث زيداً يخطبها، فدخل عليها زيد وخطبها لرسول الله ﷺ، فقالت: حتى أوآمر ربى، وقامت إلى مسجدها، وأنزل الله تعالى: ﴿فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها﴾»(3) وهذا خبر معروف، قال أهل التفسير: «ولما نزلت هذه الآية جاء رسول الله ﷺ ودخل عليها بغير إذن، وأولم عليها بالخبز واللحم»(4). وقد ثبت برواية أنس «أن النبى ﷺ ما أولم على أحد من نسائه ما أولم على زينب بنت جحش، أشبع الناس من الخبز واللحم»(5). ومن فضائل زينب «أن النبى ﷺ قال لنسائه عند الوفاة: «أسرعكن بى لحوقا أطولكن،

(1) رواه مسلم (9 / 322 – 324 رقم 1428)، والنسائي (6/79 رقم 3251) عن أنس بنحوه مطولا.

(2) رواه البخارى (13 / 415 رقم 7421)، والنسائى (6 / 79 – 80 رقم 3252) عن أنس به.

(3) رواه مسلم والنسائى، وقد تقدم قبل الأخير.

(4) رواه مسلم والنسائى من حديث أنس، وقد تقدم.

(5) متفق عليه من حديث أنس، رواه البخارى (8/387 رقم 4791، وأطرافه: 4792 – 4794، 5154، 5163، 5166، 5168، 5170، 5171، 5466، 6238، 6239، 6271، 7421)، ومسلم (14/ 215 – 218 رقم 1428).

زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً ﴿٣٧﴾ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ

يدا» فكانت زينب أول من توفيت من أزواج النبى ﷺ بعده، وكانت امرأة صناعا، تكثر الصدقة بكسب يدها، فعرفوا أن معنى طول اليد هو كثرة الصدقة»(١).

وهى أيضا أول من اتخذ عليها النعش، فإنه روى أنها لما ماتت فى زمن عمر – رضى الله – عنه وكانت امرأة خليقة، كره عمر أن تخرج كما يخرج الرجال؛ فبعثت أسماء بنت عميس النعش فأمر عمر حتى (اتخذ)(٢) ذلك، وأخرجت فى النعش، وقال عمر: نعم خباء الظعينة هذا، فجرت السنة على ذلك إلى يومنا هذا. قالوا: وقد كانت أسماء رأت ذلك بالحبشة.

وقوله: ﴿لكيلا يكون على المؤمنين حرج﴾ أى: إثم.

وقوله: ﴿فى أزواج أدعيائهم﴾ أى: فى نساء يتبنونهم، وقد كانت العرب تعد ذلك حراما، فنسخ الله التبنى، وأحل امرأة (المتبنين)(٣).

وقوله: ﴿إذا قضوا منهن وطرا﴾ قد ذكرنا.

وقوله: ﴿وكان أمر الله مفعولا﴾ أى: كان حكم الله نافذاً لا يرد.

قوله تعالى: ﴿ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله﴾ أى: فيما أحل الله.

وقوله: ﴿[له](٤) سنة الله فى الذين خلوا من قبل﴾ أى: كسنة الله فى الذين خلوا من قبل، فلما نزع (الخافض انتصب)(٥)، وقيل: إنه نصب على الإغراء كأنه قال: الزموا سنةَ الله.

أما قوله: ﴿فى الذين خلوا من قبل﴾ أى: داود وسليمان، فقد بينا عدد ما كان

---

(١) رواه مسلم (١٦ / ١٢ رقم ٢٤٥٢)، وابن حبان (٨/ ١٠٨ رقم ٣٣١٤) عن عائشة مرفوعًا.

(٢) فى «ك»: اتخذوا.

(٣) فى «ك»: المتبنى.

(٤) من «ك».

(٥) فى «ك»: الحافظ النقيب، وهو تحريف.

وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن

لداود وسليمان من النساء. وذكر (بعضهم)(١)، أن المراد من الآية تشبيه حال النبى ﷺ بحال داود؛ فإن داود هوى امرأة فجمع الله بينهما على وجه الحلال، وكذلك الرسول هوى امرأة فجمع الله بينهما على وجه الحلال.

قوله: ﴿وكان أمر الله قدراً مقدوراً﴾ أى: قضاءً مقضيا.

قوله تعالى: ﴿الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله﴾ أى: [خشية](٢) تحول بينهم وبين معصيته، وهذا هو الخشية حقيقة.

وقوله: ﴿ولايخشون أحداً إلا الله﴾ أى: غير الله، ومعناه: أنهم لايراقبون أحداً فيما أحل لهم. وفى بعض (الآثار)(٣): من لم يستحِ مما أحل الله له خفت مؤنته.

وقوله: ﴿وكفى بالله حسيبا﴾ أى: حافظا، ويقال: محاسبًا، تقول العرب: (أحسبنى)(٤) الشىء أى: كفانى.

قوله تعالى: ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم﴾ أكثر المفسرين أن المراد منه زيد بن حارثة، ومعناه: أنه ليس بأبى زيد بن حارثة، فإن قيل: أليس أنه قد كان له أولاد ذكور وإناث، وكذلك الحسن والحسين كانا ولديه.

وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال للحسن بن على: «إن ابنى هذا سيد يصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»(٥).

وفيه إشارة إلى الصلح الذى وقع بين أهل العراق وأهل الشام حين بايع الحسن معاوية وسلم إليه الأمر، والقصة معروفة. والجواب عنه من وجهين: أحدهما: أن

---

(١) ليست فى «ك».　　(٢) فى «الأصل»: خشيته.

(٣) فى «ك»: التفاسير.

(٤) فى «ك»: أحسبت.

(٥) رواه البخارى (٦/ ٧٢٧ رقم ٣٦٢٩)، وأبو داود (٤/ ٢١٦ رقم ٤٦٦٢)، والترمذى (٥/ ٦١٦ رقم ٣٧٧٣)، وقال: حسن صحيح، والنسائى (٣/ ١٠٧ رقم ١٤١٠)، وأحمد (٥/ ٤٩) من حديث أبى بكرة مرفوعا به.

﴿رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ﴿٤٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيراً ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي

معنى قوله: ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم﴾ أى: أبا رجل لم يلده، ولم يكن ولد زيد بن حارثة؛ فلم يكن أباه، وقد كان له أولاد ذكور ولدهم وهم: القاسم، والطيب، والطاهر، وإبراهيم - رضى الله عنهم - وجعل بعضهم بدل الطاهر المطهر.

والجواب الثانى: أنه قال: ﴿من رجالكم﴾ وهؤلاء كانوا صغارا، والرجال اسم يتناول البالغين. وروى عطاء عن ابن عباس أن الله تعالى لما حكم أنه لا نبى بعده لم يعطه ولداً ذكراً يصير رجلا، ولو أعطاه ولدا ذكرا يصير رجلا لجعله نبيا.

وقد قال بعض العلماء: ليس هذا بمستنكر، ويجوز أن يكون له ولد رجل ولايكون نبيا، وما ذكرناه محكى عن ابن عباس، والله أعلم.

وقوله: ﴿ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾ وقرئ: «خَاتَم» بنصب التاء، فأما قوله: ﴿وخَاتَم النبيين﴾ بالفتح أى: آخر النبيين، وأما بالكسر أى: ختم به النبيين.

وقوله: ﴿وكان الله بكل شىء عليما﴾ أى: عالما، وقد ثبت برواية جابر بن عبدالله أن النبى ﷺ قال: «مثلى ومثل الأنبياء قبلى كمثل رجل بنى دارا فأكملها وأحسنها إلا موضع لبنة منها، فجعل كل من يدخل الدار يقول: ما أحسنها وأكملها لولا موضع اللبنة، فأنا اللبنة، ولا نبى بعدى»(١).

وفى بعض الغرائب من الأخبار: أن النبى ﷺ قال: «لاتقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريبا من ثلاثين، كلهم يزعم أنه نبى، ولا نبى بعدى»(٢).

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً﴾ فيه قولان: أحدهما:

(١) متفق عليه من حديث جابر وأبى هريرة، رواه البخارى (٦/٦٤٥ رقم ٣٥٣٤، ٣٥٣٥)، ومسلم (١٥/٧٤ - ٧٦ رقم ٢٢٨٦، ٢٢٨٧).

(٢) متفق عليه من حديث أبى هريرة، رواه البخارى (٦/٧١٣ رقم ٣٦٠٩)، ومسلم (١٨/ ٦٣ - ٦٤ رقم ١٥٧).

عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً ﴿٤٣﴾

أن المراد بالذكر الكثير هو الصلوات الخمس، والثانى: أن المراد بالذكر الكثير هو التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير وأشباهها، وهذه الأذكار هى التى لايمنع منها مسلم بجنابة ولاحدث ولابغير ذلك. وقال بعضهم: الذكر الكثير يكون بالقلب، وهو الذكر الذى يستديم به طاعة الله، وينتهى به عن معصيته.

وقوله: ﴿وسبحوه بكرة وأصيلا﴾ أى: صلوا لله بكرة وأصيلا، والأصيل: ما بين العصر والمغرب، ويقال: صلاة الأصيل هى الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة.

قوله تعالى: ﴿هو الذى يصلى عليكم وملائكته﴾ اختلفوا فى معنى (الصلوات)(١) من الله تعالى؛ قال أبو العالية: هو الثناء من الله على عباده، (وعن)(٢) بعضهم: إشاعة الذكر الجميل لهم، وأشهر الأقوال: أن الصلاة من الله تعالى بمعنى الرحمة والمغفرة، وأما صلاة الملائكة بمعنى الاستغفار للمؤمنين. وذكر الحسن البصرى: أن بني إسرائيل قالوا لموسى - عليه السلام -: أيصلى ربك؟ فذكر موسى ذلك لله تعالى؛ فقال الله تعالى: إنى أصلى، وصلواتى أن رحمتى سبقت غضبى».

وفى بعض التفاسير: أن الله تعالى لما أنزل قوله تعالى: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبى﴾(٣) قالت الصحابة: يارسول الله، هذا لك! فما لنا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿هو الذى يصلى عليكم وملائكته﴾»(٤).

وقوله: ﴿ليخرجكم من الظلمات إلى النور﴾ أى: من ظلمة الضلالة إلى نور الهداية، ومن ظلمة الكفر إلى نور الإيمان، وقيل: من ظلمة النار إلى نور الجنة.

وقوله: ﴿وكان بالمؤمنين رحيما﴾ يعنى: لما حكم لهم من السعادة.

(١) فى «ك»: الصلاة. (٢) فى «ك»: وقال.

(٣) الأحزاب: ٥٦.

(٤) عزاه السيوطى فى الدر (٥/٢٢٣) لعبد بن حميد، وابن المنذر عن مجاهد مرسلا.

تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ

قوله تعالى: ﴿ تحيتهم يوم يلقونه سلام ﴾ وفيه أقوال: أحدها: أن معنى « يلقونه » أى: يلقون الله تعالى، والسلام من الله تعالى لهم إثبات السلامة الأبدية و الأمن من الآفات. وقيل: يسلم الله عليهم تسليما.

والقول الثانى: أن معنى قوله « يلقونه » أى: ملك الموت عليه السلام، وقد وردت الكناية عن غير مذكور فى مواضع كثيرة من القرآن. قال البراء بن عازب: ما من مؤمن إلا ويسلم عليه ملك الموت إذا أراد قبض روحه. والقول الثالث: أن المراد منه تسليم الملائكة، ومعناه: أنهم إذا بعثوا سلم عليهم ملائكة الله وبشروهم بالجنة.

وقوله: ﴿ وأعد لهم أجراً كريمًا ﴾ أى: الجنة، واعلم أنه قد ورد أخبار فى الحث على ذكر الله تعالى؛ منها ما ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: « يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدى بى، وأنا معه حين يذكرنى »(١).

وقد ثبت أيضا عن النبى ﷺ قال: « يقول الله تعالى: إذا ذكرنى العبد فى نفسه ذكرته فى نفسى، وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منهم.. »(٢) الخبر.

وفى بعض المسانيد أن النبى ﷺ قال: « من عجز عن الليل أن يكابده، وجبن عن العدو أن يجاهده، وبخل بالمال أن ينفقه، فعليه بذكر الله تعالى »(٣).

﴿ يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ﴾ أى: شاهداً على إبلاغ الرسل رسالة ربهم.

وقوله: ﴿ ومبشرًا ﴾ أى: بالجنة، وقوله: ﴿ ونذيرًا ﴾ أى: من النار.

(١) رواه مسلم (١٧ / ٣–٥ رقم ٢٦٧٥)، والترمذى (٥/ ٥٤٢ رقم ٣٦٠٣) وقال: حسن صحيح، والنسائى فى الكبرى (٤/ ٤١٢ رقم ٧٧٣٠)، وابن ماجه (٢/ ١٢٥٥ رقم ٣٨٢٢) عن أبى هريرة مرفوعا به.

(٢) تقدم فى الذى قبله.

(٣) رواه البزار (٢/ ٣٩٢ – ٣٩٣ رقم ٢٠٧٩ – مختصر الزوائد)، والطبرانى فى الكبير (١١/ ٨٤ رقم ١١١٢١)، وابن النجار فى ذيل تاريخ بغداد (١٨ / ٢٢٠). وقال البزار: لا نعلمه إلا من هذا الطريق، وأبو يحيى كوفى معروف لا نعلم به بأسا، وتعقبه الحافظ ابن حجر فى تلخيصه بقوله: ضعفه الجمهور.

لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً ﴿٤٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن

وقوله: ﴿ وداعيا إلى الله ﴾ أى: إلى الإسلام. وقيل: إلى شهادة أن لا إله إلا الله.

وقوله: ﴿ بإذنه ﴾ أى: بأمره. وقوله: ﴿ وسراجًا منيرًا ﴾ أى: ذا سراج منير، والسراج المنير هو القرآن. وقيل: وسراجًا هو الرسول ﷺ؛ سماه سراجا لأنه يهتدى به كالسراج يستضاء به، قال الشاعر:

إن الرسول لنور يستضاء به … مهند من سيوف الله مسلول

وقوله: ﴿ وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيراً ﴾ روى أن الله تعالى لما أنزل قوله: ﴿ إنا فتحنا لك فتحًا مبينًا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ﴾(١) قالت الصحابة: يارسول الله، هذا لك فما لنا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿ وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرًا ﴾.

قوله تعالى: ﴿ ولا تطع الكافرين والمنافقين ﴾ الكافرين: أبو سفيان، وعكرمة بن أبى جهل وقد أسلموا من بعد – وأبو الأعور السلمى، والمنافقين: عبد الله بن أبى، وطعمة بن أبيرق، وابن (سفنه)(٢)، وأشباههم.

وقوله: ﴿ ودع أذاهم ﴾ قال مجاهد: اصبر على أذاهم، ويقال: إن هذه الآية نسختها آية السيف.

وقوله: ﴿ وتوكل على الله ﴾ أى: ثق بالله.

وقوله: ﴿ وكفى بالله وكيلا ﴾ أى: حافظا.

قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن ﴾ فى الآية دليل على أن الطلاق لايجوز قبل النكاح؛ لأنه رتب الطلاق على النكاح فدل [على](٣) أنه لايتقدمه، وقد حكى هذا المعنى عن ابن عباس.

(١) الفتح: ١ – ٢.

(٢) كذا.

(٣) من « ك ».

قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً ﴿٤٩﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللاَّتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا

وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال: «لا طلاق قبل النكاح»(١) وهذا يقوى ما ذكرناه من الاستدلال بالآية.

وقوله: ﴿من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها﴾ فى الآية دليل على أنه لو طلق قبل الدخول لاتجب العدة، وأما إذا خلا بالمرأة ثم طلقها هل تجب العدة؟ فى المسألة خلاف معروف على ما عرف.

وقوله: ﴿تعتدونها﴾ أى: تستوفون عدتها.

وقوله: ﴿فمتعوهن﴾ قد بينا المتعة فى سورة البقرة. وعن بعضهم: أن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم﴾(٢) ولهذا وجب نصف المفروض قبل الدخول ولم تجب المتعة، وإنما تجب المتعة للمطلقة التى لاتجب لها نصف المفروض.

وقوله: ﴿وسرحوهن سراحًا جميلا﴾ والتسريح الجميل هو الطلاق مع قضاء الحقوق.

قوله تعالى: ﴿يا أيها النبى إنا أحللنا لك أزواجك اللاتى آتيت أجورهن﴾ أى: مهورهن.

قوله: ﴿وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك﴾ أى: أغنمك الله. ويقال: رد الله عليك من الكفار، ومما أفاء الله عليه صفية بنت حيى بن أخطب وجويرية بنت أبى ضرار المصطلقية، وقد كانت مارية مما ملكت يمينه، وولد له منها إبراهيم ابنه.

وقوله: ﴿وبنات عمك﴾ أى: أولاد عبد المطلب.

(١) تقدم تخريجه فى سورة البقرة.
(٢) البقرة: ٢٣٧.

أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالاتِكَ اللاَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن

وقوله: ﴿وبنات عماتك﴾ أى: من أولاد بنات عبد المطلب.

وقوله: ﴿وبنات خالك وبنات خالاتك﴾ أى: من أولاد عبد مناف بن زهرة بن كلاب.

وقوله: ﴿اللاتى هاجرن معك﴾ فيه قولان: أحدهما: أسلمت معك، فيقتضى أن غير المسلمة لاتحل له وإن كانت يهودية أو نصرانية، وهى حلال لأمته. والقول الثانى: هاجرن معك إلى المدينة، فاقتضت الآية أن غير المهاجرة لاتحل له؛ وفى معناه قولان: أحدهما: أن غير المهاجرة لاتحل له من الأجنبيات والقرابات. والقول الثانى: أن غير المهاجرة لاتحل من القرابات واللاتى ذكرهن، فأما من الأجنبيات فحلال.

وروى أبو صالح عن أم هانئ أن رسول الله ﷺ لما فتح مكة خطبنى، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فلم أحل له لأنى لم أكن من المهاجرات، وكنت من الطلقاء(١). وأم هانئ أخت على بن أبى طالب رضى الله عنه.

وقوله: ﴿وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبى﴾ وقرئ: «إن وهَبت» بالفتح إذ بالكسر على العموم، وبالفتح على امرأة بعينها.

وعن ابن عباس أنه قال: لم يكن ممن أمسكها النبى ﷺ من النساء أحد وهبت نفسها.

وعن غيره أن ميمونة بنت الحارث كانت ممن وهبت، وممن وهبت نفسها أم شريك، وكانت امرأة صالحة. وروى أنها عطشت فى سفر، فأنزل الله تعالى عليها دلوا من السماء، وعلقت عكة فارغة فأصاب فيها سمنا، فيقال: من آيات الله عكة أم

(١) رواه الترمذى (٥/ ٣٣١ رقم ٣٢١٤) وقال: حسن صحيح، وابن سعد (٨/ ١٢١) وابن جرير الطبرى (٢٢/ ١٥)، والطبرانى (٢٤/ ٤١٣،٤١٤ رقم ١٠٠٥، ١٠٠٧)، والحاكم (٢/ ٤٢٠) وصححه، والبيهقى (٧/ ٥٤)، وزاد السيوطى فى الدر (٥/ ٢٢٥): ابن راهويه، وعبد بن حميد، وابن أبى حاتم، وابن مردويه.

دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلا يَكُونَ

شريك، «وقد كان رسول الله ﷺ عهدها جميلة، فسأل عنها يوم فتح مكة فبلغها ذلك، فجاءت ووهبت نفسها للنبى ﷺ، فلم يرها كما عهدها فتركها».(١)

وعن عائشة – رضى الله عنها – أن خولة بنت حكيم ممن وهبت نفسها للنبى ﷺ.

وعن الشعبى: أن التى وهبت نفسها للنبى ﷺ زينب بنت خزيمة الأنصارية أم المساكين.

وقوله: ﴿إن أراد النبى أن يستنكحها﴾ أى: يطلب نكاحها.

وقوله: ﴿خالصة لك من دون المؤمنين﴾ فيه قولان: أحدهما: أن معني خالصة: أنها حلال لك بغير صداق، ولاتحل لغيرك بغير صداق، وهذا قول عكرمة وجماعة. والقول الثانى: أن معنى قوله: ﴿خالصة لك﴾ يعنى: أن جواز النكاح بلفظ الهبة [خالص](٢) لك، نسب هذا إلى الشافعى رحمه الله.

وقوله: ﴿قد علمنا مافرضنا عليهم فى أزواجهم﴾ أى: أوجبنا عليهم فى أزواجهم من الأحكام؛ والأحكام أن النكاح لايجوز إلا بشهود وولى وصداق وفراغ عن العدة وأشباه ذلك.

وقوله: ﴿وما ملكت أيمانهم﴾ أى: وما أوجبنا من الأحكام فيما ملكت أيمانهم.

وقوله: ﴿عليهم﴾ و ﴿أيمانهم﴾ ينصرف إلى المؤمنين.

وقوله: ﴿لكيلا يكون عليك حرج﴾ أى: ضيق. معناه: وسعنا عليك الأمر لكى لايكون عليك حرج.

(١) كذا عند المصنف! وقد روى ابن سعد فى الطبقات (١/١٢٣–١٢٤) عن الواقدى، عن الوليد بن مسلم، عن منير بن عبد الله الدوسى فذكر حديثا طويلا وفيه: «فعرضت نفسها على النبى ﷺ وكانت جميلة وقد أسنت... فقبلها النبى ﷺ» ... الحديث. وقال الحافظ فى الإصابة: مرسل، وفيه الواقدى. وأخرجه أبو نعيم وأبو موسى من طريق ابن عباس: «... ووهبت نفسها له بغير مهر فقبلها، ودخل عليها فلما رأى عليها كبرة طلقها». وذكر الحافظ فى الإصابة: أن فى إسناد أبى نعيم أحد المتروكين، وهو محمد بن مروان السدى. الإصابة (٤/٤٦٦).

(٢) فى «الأصل، وك»: خالصا، بالنصب، والصواب ما أثبتناه.

عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾ تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ

وقوله: ﴿وكان الله غفوراً رحيماً﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿ترجى من تشاء منهن﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: تطلق من تشاء منهن، وتؤوى إليك من تشاء أى: تمسك من تشاء منهن، حكى هذا عن ابن عباس. والقول الثانى: ترجى من تشاء منهن: لا تتزوجهن. وقوله: ﴿وتؤوى إليك من تشاء﴾ أى: من تشاء نكاحهن. والقول الثالث: ترجى من تشاء منهن أى: تؤخرهن فيخرجن من القسم.

وقوله: ﴿وتؤوى إليك من تشاء﴾ أى: تدخلهن فى القسم، وهذا أشهر الأقاويل، فكأن الله تعالى جوز أن يقسم لمن شاء، ويترك من شاء منهن. ثم اختلف القول فى أنه هل أخرج أحداً منهن عن القسم؟ فأحد القولين: أنه لم يخرج أحدا منهن عن القسم. والقول الثانى – حكاه أبو رزين – أنه أخرج خمسة وقسم لأربعة، فالخمسة التى أخرجهن: سودة، وأم حبيبة، وصفية، وجويرية، وميمونة، وأما اللآتى قسم لهن: فعائشة، وحفصة، وأم سلمة، وزينب، والأظهر هو القول الأول.

وقد روى «أنه كان فى مرض موته يدور على نسائه حتى رضين بأن يمرض فى بيت عائشة»(١).

وقوله: ﴿ومن ابتغيت ممن عزلت﴾ أى: ممن رأيت منهن وقد أخرتها ﴿فلا جناح عليك﴾ أى: لا إثم عليك.

وقوله: ﴿ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولايحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن﴾ معناه: أنهن إذا علمن أن هذا مما أنزل الله تعالى كان أطيب لأنفسهن، وأقل لحزنهن، وأقرب إلى رضاهن. ويقال: إذا علمن أن لك أن تؤوى من شئت، فمن عزلت كان أقرب إلى

(١) متفق عليه من حديث عائشة، رواه البخارى (١/٣٦٢ رقم ١٩٨، وأطرافه. ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٧٩، ٦٨٣، ٦٨٧، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٦، ٢٥٨٨، ٣٠٩٩، ٣٣٨٤، ٤٤٤٢، ٤٤٤٥. ٥٧١٤، ٧٣٠٢)، ومسلم (٤/١٨٢ – ١٨٣ رقم ٤١٨).

بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ

ماذكرنا . وفى بعض التفاسير : « أن النبى ﷺ أراد أن يطلق جماعة من نسائه ، فقلن له : اتركنا على حالنا ، واقسم كما شئت »(١) .

وقوله : ﴿ والله يعلم مافى قلوبكم وكان الله عليمًا حليمًا ﴾ أى : عليما بأمر خلقه ، حليمًا عن فعل خلقه .

قوله تعالى : ﴿ لايحل لك النساء من بعد ﴾ قد بينا أن الله تعالى لما أمر رسوله أن يخير أزواجه فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة ؛ شكر لهن اختيارهن وحرم عليه ما سواهن من النساء ، ونهاه عن الاستبدال بهن ، ثم اختلف القول أنه هل أحل له النساء من بعد أولا ؟ فعن عائشة - رضى الله عنها - أنها قالت : « ماتوفى رسول الله ﷺ حتى أحل له النساء »(٢) .

والقول الثانى : أن الحرمة بقيت إلى أن توفى النبى ﷺ .

وقوله : ﴿ ولو أعجبك حسنهن ﴾ ظاهر المعنى ، وفى الآية قول آخر . وهو ماروى عن مجاهد أنه قال : ﴿ لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ﴾ أى : ليس لك أن تختار غير المسلمات على المسلمات ، ومعناه : أنه لايجوز له أن يتزوج يهودية ولانصرانية . وفى بعض التفاسير : أن التى أعجبته هى أسماء بنت عميس الخثعمية ، وكانت عند جعفر بن أبى طالب ، فلما استشهد عنها أراد النبى ﷺ أن يخطبها ، فنهى عن ذلك .

وقوله : ﴿ إلا ماملكت يمينك ﴾ يعنى : سوى ماملكت يمينك ، وقوله : ﴿ وكان الله على كل شىء رقيبًا ﴾ أى : حفيظًا .

---

(١) رواه الطبرى فى تفسيره (٢٢ / ١٨) عن أبى رزين مرسلا . ورواه الطبرى ، وابن أبى شيبة ، وعبد الرزاق - كما فى تخريج الكشاف (٣ / ١١٨ - ١١٩) عن مجاهد مرسلا بنحوه . وعزاه فى الدر (٥ / ٢٢٨) لابن مردويه .

(٢) رواه الترمذى (٥ / ٣٣٢ رقم ٣٢١٦) وقال : حسن ، والنسائى (٦ / ٥٦ رقم ٣٢٠٥) ، وأحمد (٦ / ١٨٠ ، ٢٠١) ، وابن سعد (٨ / ١٤١) ، والدارمى (٢ / ٢٠٥ رقم ٢٢٤١) ، والطبرى (٢٢ / ٢٤) ، وابن حبان (١٤ / ٢٨١ رقم ٦٣٦٦) ، والحاكم (٢ / ٤٣٧) وصححه ، والبيهقى (٧ / ٥٤) .

وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلا

قوله تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبى ﴾ سبب نزول الآية : ماروى أن الصحابة كانوا يدخلون بيوت النبى ﷺ بغير إذن ، وينتظرون إدراك الطعام ، فإذا فرغوا من الطعام جلسوا يتحدثون وأطالوا الجلوس ، وكان النبى ﷺ يتأذى بهم ويستحى منهم ؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية ، وعلمهم هذا الأدب بينهم وبين النبى ﷺ .

وقد ثبت برواية أنس « أن النبى ﷺ أَوْلَمَ على زينب بنت جحش ودعا أصحابه ، فلما فرغوا وخرجو ، جلس رجلان يتحدثان ، وأحب النبى ﷺ أن يخرجا فيخلوا بأهله فلم يخرجا »(١) . وفى رواية : أنه خرج مرات ليتبعاه فلم يخرجا أيضا ، فأنزل الله تعالى هذه الآية . ومن المعروف أيضا أن نساء النبى ﷺ لم يكن يحتجبن عن الرجال على عادة العرب ، وكان عمر يقول : يارسول الله ، احجب نساءك ؛ فإنه يدخل عليك البر والفاجر ؛ وكان النساء يَتَّبَرَّزْنَ بالليل ، ويخرجن إلى المناصع لحاجتهن ، فخرجت سودة ليلة وكانت امرأة طويلة ، فقال عمر : قد عرفناك ياسودة ، ورفع صوته حرصا على أن ينزل الحجاب ، فأنزل الله تعالى آية الحجاب »(٢) . ومن المعروف أيضا « أن النبى ﷺ كان يأكل مع عائشة حَيْسًا ، فمر عمر فدعاه فجعل يأكل معهما ، فوقع أُصبُعه على أُصبُع عائشة ، فقال عمر : حَسِّ لو أُطاعُ فيكن [ما رأتكن](٣) عين ، فأنزلت آية الحجاب »(٤) .

---

(١) متفق عليه ، وقد تقدم قبل قليل .

(٢) متفق عليه من حديث عائشة ، رواه البخارى (٨ / ٣٨٨ رقم ٣٧٩٥) ، ومسلم (١٤ / ٢١٥ - ٢١٨ رقم ٢١٧٠) .

(٣) المثبت ساقط من « الأصل وك » ، وهو من حديث عائشة ، كما سيأتى فى تخريجه .

(٤) رواه النسائى فى الكبرى (٦ / ٤٣٥ رقم ١١٤١٩) ، والطبرانى فى الأوسط (٦ / ٥٩ - ٦٠ رقم ٣٣٧٤ - مجمع البحرين) ، والصغير (١ / ١٤٩ رقم ٢٢٧) ، وابن أبى حاتم كما عند ابن كثير (٣ / ٥٠٥) كلهم من حديث عائشة وقال الهيثمى فى المجمع (٧ / ٩٦) : رواه الطبرانى فى الأوسط ، ورجاله رجال الصحيح غير موسى بن أبى كثير ، وهو ثقة . وقال السيوطى فى الدر (٥ / ٢٣١) : وأخرج النسائى ، وابن أبى حاتم ، والطبرانى ، وابن مردويه بسند صحيح ، فذكر الحديث . وفى الباب عن ابن عباس ، ومجاهد ، وانظر الدر (٥ / ٢٣١) .

مُسْتَئْنسين لحديث إنَّ ذَلكُم كَانَ يُؤْذي النَّبيَّ فَيَسْتَحْيي منكُمْ وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيي منَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ من وَرَاءِ حجَابٍ ذَلكُمْ أَطْهَرُ لقُلُوبكُمْ وَقُلُوبهنَّ وَمَا كَانَ

وقوله: ﴿غير ناظرين إناه﴾ أى: إدراكه ونضجه ، قال الشاعر:

تمخضت المنون له بيوم　　　أنى ولكل حاملة تمام

وقوله: ﴿ولكن إذا دعيتم فادخلوا﴾

وقوله: ﴿فإذا طعمتم فانتشروا﴾ قال الحسن البصرى وغيره: نزلت الآية فى الثقلاء. وعن إبراهيم النخعى: من عرف أنه ثقيل فليس بثقيل.

وقوله: ﴿ولامستأنسين لحديث﴾ أى: لايقعدوا فى بيت النبى ﷺ بعد الفراغ من الطعام يتحدثون مستأنسين بالحديث .

وقوله: ﴿إن ذلكم كان يؤذى النبى فيستحى منكم﴾ أى: يستحى من إخراجكم.

وقوله: ﴿والله لايستحى من الحق﴾ أى: لايترك بيان الحق [وذكره][1] حياء .

وقوله: ﴿وإذا سألتموهن متاعًا﴾ أى: حاجة.

وقوله: ﴿فاسألوهن من وراء حجاب﴾ أى: من وراء ستر. وفى التفسير: أنه لم يكن يحل بعد آية الحجاب لأحد أن ينظر إلى امرأة من نساء النبى ﷺ، منتقبة كانت أو غير منتقبة؛ لأن الله تعالى قال: ﴿من وراء حجاب﴾ وروى أن عائشة كانت إذا طافت ستروا وراءها.

وقوله: ﴿ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن﴾ أى: أطهر من الريب.

وقوله: ﴿وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله﴾ قال أهل التفسير: لما نزلت آية الحجاب ومنع الرجال من الدخول فى بيوت النبى ﷺ، قال رجل من الصحابة: ما بالنا نمنع من الدخول على بنات أعمامنا، والله لئن حدث أمر لأتزوجن عائشة، والأكثرون على أن القائل لهذا طلحة بن عبيد الله، وكان من رهط أبى بكر الصديق.

(١) فى «الأصل وك»: وذكر.

لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّه وَلا أَن تَنكحُوا أَزْوَاجَهُ منْ بَعْده أَبَدًا إنَّ ذَلكُمْ كَانَ عندَ اللَّه عَظيمًا ﴿٥٣﴾ إن تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإنَّ اللَّهَ كَانَ بكُلِّ شَيْءٍ عَليمًا ﴿٥٤﴾ لا جُنَاحَ

وكان ذلك القول زلة منه؛ فأنزل الله تعالى [قوله هذا][1]: ﴿وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله﴾.

وقوله: ﴿ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيمًا﴾ أى: ذنبا عظيما.

قوله تعالى: ﴿إن تبدوا شيئا أو تخفوه﴾ والذى أبدى وأظهر هو قول ذلك القائل: مابالنا نمنع من الدخول على بنات أعمامنا .

وقوله: ﴿أوتخفوه﴾ والذى أخفى هو إضماره نكاح عائشة بعد النبى ﷺ، وروى أنه لم يقل هذا، ولكنه أضمر .

وقوله: ﴿فإن الله كان بكل شيء عليمًا﴾ أى: عالمًا. فى تفسير النقاش: أن النبى ﷺ خطب بعد نزول هذه الآية، وقال: «أيها الناس، إن الله فضلنى على سائر الرجال، وفضل نسائى على سائر النساء، وإن الله حرمهن عليكم وجعلهن كأمهاتكم، فلاتعتدوا حدوده فيسحتكم بعذاب أليم، ألا وإن صفوتى من نسائى عائشة بنت أبى بكر إلا ماكان من خديجة بنت خويلد، وإن فاطمة سيدة نساء العالمين إلا ماكان من مريم بنت عمران، والحسن والحسين – رضى الله عنهما – سيدا شباب أهل الجنة، وإن أبا بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة ماخلا النبيين والمرسلين».

قوله تعالى: ﴿لاجناح عليهن فى آبائهن﴾ الآية. روى أن الآية الأولى لما نزلت قام الآباء والأبناء، فقالوا: ماحالنا يارسول الله أندخل عليهن أم لا؟ فأنزل الله تعالى قوله: ﴿لا جناح عليهن﴾ أى: لا إثم عليهن ﴿فى آبائهن ولا أبنائهن، ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن﴾ فإن قيل: لم يذكر الأعمام، وبالإجماع يجوز للأعمام أن يدخلوا عليهن، إنه قد قال: ﴿فى آبائهن﴾ وقد دخل الأعمام فى جملة

(١) فى «الأصل، وك»: هذا قوله، والمثبت هو الأليق للسياق.

عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلا أَبْنَائِهِنَّ وَلا إِخْوَانِهِنَّ وَلا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلا نِسَائِهِنَّ وَلا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ

الآباء، وقد سمَّى الله تعالى العم أبا فى القرآن، قال الله تعالى حاكيًا عن الأسباط أنهم قالوا ليعقوب: ﴿ نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ﴾(١) وقد كان إسماعيل عم يعقوب .

وقوله: ﴿ ولانسائهن ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن المراد من نسائهن المسلمات، فعلى هذا القول لم يكن يجوز لليهوديات والنصرانيات الدخول عليهن. والقول الثانى: أن قوله: ﴿ ولانسائهن ﴾ عام فى المسلمات وغير المسلمات، فعلى هذا القول إنما قال: ﴿ ولانسائهن ﴾ لأنهن من أجناسهن، وعلى القول الأول قال: ﴿ ولانسائهن ﴾ لأن نساءهن المسلمات دون غير المسلمات .

وقوله: ﴿ ولا ما ملكت أيمانهن ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن ماملكت أيمانهن هن الإماء، قال سعيد بن المسيب: لايغرنكم قوله: ﴿ ولا ماملكت أيمانهن ﴾ فإنما المراد منه الإماء دون العبيد .

والقول الثانى: أن المراد منه العبيد والإماء.

واختلف القول أن العبيد إلى ماذا يحل لهم النظر على هذا القول؟ فأحد القولين: أنه يحل لهم النظر إلى ما يحل للمحارم.

والقول الآخر: أنه يحل [النظر](٢) إلى مايبدو فى العادة من الوجه واليدين والقدمين، ولا يحل النظر إلى ماسوى ذلك، هذا هو الأحوط .

وقوله: ﴿ واتقين الله ﴾ هذا خطاب لأزواج النبى ﷺ حتى لايبرزن ولايكشفن الستر عن أنفسهن .

وقوله: ﴿ إن الله كان على كل شيء شهيداً ﴾ أى: شاهداً.

(١) البقرة: ١٣٣.
(٢): زيادة ليست فى «الأصل وك»، ويقتضيها السياق.

اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ

وقوله تعالى: ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبى ﴾ الصلاة من الله بمعنى الرحمة والمغفرة، ومن الملائكة والمؤمنين بمعنى الدعاء .

قال ثعلب: قول القائل: اللهم صل على محمد أى: زده بركة ورحمة، وأصل الصلاة فى اللغة الدعاء، وقد بينا من قبل. وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «من صلى على مرة صلى الله عليه عشرًا»(١).

وفى بعض الأخبار: «أن جبريل عليه السلام لما نزل بهذا سجد رسول الله ﷺ شكرًا»(٢).

وقد ثبت برواية كعب بن عُجْرة أنه قال: يارسول الله، قد عرفنا السلام عليك، فكيف نصلى عليك؟ فقال: «قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد»(٣).

وعن عبد الله بن مسعود – رضى الله عنه – أنه قال: إذا صليتم على رسول الله ﷺ فأحسنوا الصلاة عليه؛ فلعلها تعرض عليه؛ قالوا له: فَعَلِّمنا. قال: قولوا اللهم صل على محمد عبدك ونبيك، سيد المرسلين، وإمام المتقين،وخاتم النبيين، إمام الخير، وقائد الخير، ورسول الرحمة، اللهم ابعثه المقام المحمود الذى يغبطه به الأولون

(١) رواه مسلم (٤/ ١٦٨ رقم ٤٠٨)، وأبو داود (٢/ ٨٨ رقم ١٥٣٠)، والترمذى (٢/ ٣٥٥ رقم ٤٨٥) وقال: حسن صحيح، والنسائى (٣/ ٥٠ رقم ١٢٩٦)، وأحمد (٢/ ٣٧٢، ٣٧٥، ٤٨٥)، وابن حبان فى صحيحه (٣/ ١٨٦ – ١٨٧ رقم ٩٠٥، ٩٠٦) من حديث أبى هريرة مرفوعا به. وقال الترمذى: وفى الباب عن عبد الرحمن بن عوف، وعامر بن ربيعة، وعمار، وأبى طلحة، وأنس، وأبى بن كعب.
(٢) رواه أحمد (١/ ١٩١)، والحاكم (١/ ٢٢٢ – ٢٢٣) وصححه على شرطهما، والبيهقى (٢/ ٣٧١) من حديث عبد الرحمن بن عوف مرفوعا. وقال الهيثمى (٢/ ٢٩٠): رواه أحمد، ورجاله ثقات.
(٣) متفق عليه، رواه البخارى (٦/ ٤٩٦ – ٤٧٠ رقم ٣٣٧٠، وطرفاه: ٤٧٩٧، ٦٣٥٧)، ومسلم (٤/ ١٦٥ – ١٦٦ رقم ٤٠٦).

الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾

والآخرون .

وروى الأصمعي قال : سمعت المهدى - وهو محمد بن عبدالله بن جعفر المنصورى - على منبر البصرة يقول : إن الله تعالى أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه، وثنى بملائكته، فقال : ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبى ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾ .

وأما السلام على الرسول فهو أن تقول : السلام عليك أيها النبى ورحمه الله وبركاته، هذا فى حق أصحاب رسول الله، وكانت السنة لهم أن يواجهوا الرسول ﷺ على هذا الوجه، فأما فى حق سائر المؤمنين ففى التشهد يقول على ماهو المعروف .

وقد ذكر بعض العلماء أنه يقول فى التشهد : السلام على النبى ورحمة الله وبركاته . ولايقول : عليك .

والصحيح ما بينا، وإنما خارج المصلى، فإنه يقول : السلام على النبى ورحمة الله وبركاته .

ويستدل بهذه الآية فى وجوب الصلاة على النبى ﷺ إذا صلى، على ماهو مذهب الشافعى - رحمه الله - ووجه الاستدلال : أن الله تعالى أمرنا بالصلاة على النبى ﷺ ، وأولى موضع بوجوب الصلاة فيه هو الصلاة . فوجب فى الصلاة، أن يصلى على رسول الله .

قوله تعالى : ﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله﴾ قد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال : «يقول الله تعالى : يشتمنى عبدى، وماينبغى له أن يشتمنى، ويكذبنى عبدى، وماينبغى له أن يكذبنى . أما شتمه إياى هو أن يزعم أنى اتخذت ولداً . وأما تكذيبه إياى هو أنه يزعم أنى لن أعيد خلقى، وأنا المبدئ المعيد»[1] .

(١) رواه البخارى (٦/ ٣٣١ رقم ٣١٩٣، وأطرافه : ٧٤٠٤، ٧٤١٢، ٧٤٥٣، ٧٥٥٣، ٧٥٥٤)، والنسائى (٤/ ١١٢ رقم ٢٠٧٨)، وأحمد (٣/ ٣٩٣، ٣٩٤)، وابن حبان (١/ ٥٠٠ رقم ٢٦٧) عن أبى هريرة مرفوعا به.

وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ

وقال بعضهم : ﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله﴾ أى : أولياء الله .

وأصح القولين أن قوله : ﴿يؤذون الله﴾ على طريق المجاز، وأما على الحقيقة فلا يلحقه أذى من قبل أحد .

وقوله : ﴿لعنهم الله فى الدنيا والآخرة﴾ أى : طردهم وأبعدهم من رحمته .

وقوله : ﴿وأعد لهم عذابا مهينا﴾ أى : يهينهم ويخزيهم .

قوله تعالى : ﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا﴾ أى : يقعون فيهم، ويعيبونهم بغير جرم وجد من قِبَلِهم .

وذكر [هنا][1] مقاتل أن الآية نزلت فى قوم كانوا يؤذون على بن أبى طالب - رضى الله عنه - وذكر الكلبى أن الآية نزلت فى قوم من المنافقين كانوا يمشون فى الطريق ويغمزون النساء .

وقوله : ﴿فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا﴾ ظاهر المعنى .

قوله تعالى : ﴿يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن﴾ ذكر المفسرون أن المدينة كانت ضيقة المنازل، وكان النساء يخرجن إلى البوار بالليالى لقضاء الحاجات، وكان قوم من المنافقين والفاسقين يرصدونهن ويتعرضون لهن، فمن كانت عفيفة منهن صاحت وتركوها، ومن كانت غير عفيفة أعطوها شيئا وواقعوها .

وفى رواية : أنهم كانوا يتعرضون للإماء، ولايتعرضون للحرائر، فأنزل الله تعالى هذه الآية .

وقوله تعالى : ﴿يدنين عليهن من جلابيبهن﴾ أى : يشتملن بالجلابيب، والجلباب

(١) من «ك» .

ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلا

هو الرداء، وهو الملاءة التى تشتمل بها المرأة فوق الدرع والخمار.

قال عبيدة السَّلْمانى: تتغطى المرأة بجلبابها فتستر رأسها ووجهها وجميع بدنها إلا إحدى عينيها.

وروى أن الله تعالى لما أنزل هذه الآية اتخذ نساء الأنصار أكسية سوداء واشتملن بها فخرجن كأن رءوسهن الغربان.

وقوله: ﴿ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين﴾ أى: يعرفن أنهن حرائر ﴿فلا يؤذين﴾ أى: لايتعرض لهن.

وقوله: ﴿وكان الله غفورا رحيما﴾ قد بينا من قبل.

وكان عمر – رضى الله عنه – إذا رأى أمة قد تقنعت وتجلببت علاها بالدرَّة، ويقول: أتتشبهين بالحرائر.

قوله تعالى: ﴿لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض﴾ أى: شهوة الزنا.

وقوله: ﴿والمرجفون فى المدينة﴾ قد كان قوم من المنافقين يكثرون الأراجيف، وكان إذا خرجت سرية أو غازية، قالوا: قد هزموا وقتلوا، ويوقعون[1] بين المسلمين أمثال هذه الأشياء؛ لتضعف قلوبهم ويحزنوا.

وقوله: ﴿لنغرينك بهم﴾ أى: نسلطنَّك عليهم، ونحملنَّك على قتلهم.

وفى بعض التفاسير: أن قوما من المنافقين هموا بإظهار الكفر، فأمر الله تعالى رسوله أن يقتلهم إذا أظهروا.

وقال السدى: من تتبع امرأة فى طريق وكابرها قتل محصنًا كان أو غير محصن لهذه الآية.

(١) فى «ك»: ترفعون.

قَلِيلاً ﴿٦٠﴾ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً ﴿٦١﴾ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً ﴿٦٢﴾ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا

وقوله: ﴿ثم لايجاورونك فيها﴾ أى: فى المدينة.

وقوله ﴿إلا قليلا﴾ أى: إلا وقتا قليلا.

قوله تعالى: ﴿ملعونين﴾ وهو نصب على الحال.

وقوله: ﴿أينما ثقفوا﴾ معناه: أينما صدفوا ووجدوا.

وقوله: ﴿أخذوا وقتلوا تقتيلا﴾ فقوله: قتلوا تقتيلا، قال السدى: (ماقال)[1]

قوله تعالى: ﴿سنة الله فى الذين خلوا من قبل﴾ وفعلوا مثل هذا الفعل.

وقوله: ﴿ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾ أى: تغييرا.

قوله تعالى: ﴿يسألك الناس عن الساعة﴾ أى: متى قيامها.

وقوله: ﴿قل إنما علمها عند الله﴾ أى: علم قيامها عند الله.

وقوله: ﴿وما يدريك﴾ أى: وما يعلمك؟ أى: لاتعلم وقت قيامها.

وقوله: ﴿لعل الساعة تكون قريبا﴾ أى: قريبة.

قوله تعالى: ﴿إن الله لعن الكافرين﴾ أى: أبعدهم عن الرحمة، وطردهم من الخيرات.

وقوله: ﴿وأعد لهم سعيرا﴾ أى: ناراً مسعرة.

وقوله: ﴿خالدين فيها أبدا﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿[لايجدون وليا ولانصيرا][2] يوم تقلب وجوهم فى النار﴾ أى:

(١) سقط من النسختين قول السدى، وهو: أن من قتل بحق فلا دية على قاتله. انظر القرطبى: (١٤/٢٤٧).

(٢) من: ك.

﴿٦٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لاَّ يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلا نَصِيراً ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولاْ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاْ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيراً ﴿٦٨﴾ يَا أَيُّهَا

يسحبون على وجوههم فى النار .

وقوله : ﴿ يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا ﴾ أى : الرسول، وذكر الرسولا على موافقة رءوس الآى على ما بيَّنا من قبل .

قوله تعالى : ﴿ وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا ﴾ وقرئ : « ساداتنا »، وقوله : ﴿ وكبراءنا ﴾ هم الأشراف ورءوس الناس .

قوله : ﴿ فأضلونا السبيلا ﴾ أى : السبيل، ومعناه : صدونا عن طريق الحق .

قوله تعالى : ﴿ ربنا آتهم ضعفين من العذاب ﴾ أى : عذبهم ضعفى عذاب غيرهم . وقيل : عذبهم عذاب الدنيا والآخرة، والأول أولى .

وقوله : ﴿ والعنهم لعنا كبيراً ﴾ أى : مرة بعد مرة، وقرئ : « كثيراً » بالثاء، والمعنى واحد .

قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتكونوا كالذين آذوا موسى ﴾ معناه : لاتؤذوا محمداً فتكونوا كالذين آذوا موسى، وفيما أوذى به الرسول ﷺ قولان : أحدهما : أنهم آذوه فى أمر زيد بن حارثة ونكاحه زينب .

والثانى : ماروى أنه قسم غنيمة فقام رجل وقال : اعدل، فإنك لم تعدل، فقال النبى ﷺ : « رحم الله موسى؛ لقد أوذى بأكثر من هذا فصبر »(١) .

وأما الذى أوذى به موسى ففيه قولان : أحدهما – وعليه أكثر أهل التفسير– ماروى أبو هريرة – رضى الله عنه – أن النبى ﷺ قال : « كان موسى رجلا حييا، وكان لايغتسل إلا وحده، وكان بنو إسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم إلى (عورة

(١) تقدم تخريجه فى تفسير سورة التوبة .

الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ

البعض)(١) ، فقالوا : إن موسى لايغتسل إلا وحده؛ لأن به آفة، وقالوا : إنه آدر، فاغتسل موسى مرة ووضع ثوبه على حجر، فعدا الحجر بثوبه، فأخذ موسى العصا وجعل يقول : ثوبى ياحجر، ثوبى ياحجر، حتى مر على ملأ من بنى إسرائيل فنظروا إليه ولم يروا به بأسا، وقام الحجر فطفق يضربه بالعصا » .

قال أبو هريرة : قال رسول الله ﷺ : « وكأنى بالحجر ندبا من أثر ضربه أربعا أو خمسا » . والخبر فى الصحيحين »(٢) .

وفى الخبر : « أن الله تعالى أنزل فى هذا قوله [تعالى](٣) : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتكونوا كالذين آذوا موسى ﴾ الآية .

وفى بعض الروايات : أن الحجر قال له : ياموسى، لم تضربنى، إنما أنا عبد مأمور .

والقول الثانى فى الآية : ماروى عن على – رضى الله عنه – أنه قال : صعد هارون وموسى الجبل، فمات هارون ونزل موسى وحده، فقالت له بنو إسرائيل : أنت قتلت هارون، وقد كان ألين جانبا منك وأحب إلينا، فبعث الله الملائكة حتى حملوا هارون ميتا إليهم، وتكلموا بموته حتى سَمعُوا بنى إسرائيل ذلك، ثم إن الملائكة حملوا هارون ودفنوه فلم يعرف أحد موضع قبره إلا الرَّخَم، فجعله الله تعالى أصم أبكم .

وقوله : ﴿ فبرأه الله مما قالوا ﴾ أى : طهره الله مما قالوا .

وقوله : ﴿ وكان عند الله وجيها ﴾ أى : بتكليمه إياه، والوجيه فى اللغة هو ذو الجاه .

قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا ﴾ أى : صوابا،

(١) فى « ك » : بعض .

(٢) متفق عليه، رواه البخارى (٦/ ٥٠٢ رقم ٣٤٠٤)، ومسلم (٤/ ٤٣–٤٥، ١٥/ ١٨٣–١٨٤ رقم٣٣٩) .

(٣) من « ك » .

وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ

ويقال: صدقا .

وعن ابن عباس: هو كلمة لا إله الا الله . وقال بعضهم: سديدا، أى: مستقيما، يقال: سدد أى: استقم، قال زهير:

فقلت له سدد وأبصر طريقه وماهو فيه عن وصاتى شاغله

أى: عن وصيتى، وقال بعضهم: قولا سديدا أى: قولا يوافق باطنه ظاهره .

وقوله: ﴿ يصلح لم أعمالكم ﴾ أى: يزك لكم أعمالكم . وقيل: يصلح لكم أعمالكم: يتقبل منكم الحسنات .

وقوله: ﴿ ويغفر لكم ذنوبكم ﴾ أى: يسترها ويعف عنها .

وقوله: ﴿ ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزًا عظيمًا ﴾ أى: ظفر بالخير كله .

قوله تعالى: ﴿ إنا عرضنا الأمانة ﴾ قال ابن عباس: الأمانة الفرائض . وقال الضحاك: الطاعة . وعن أبى العالية الرياحى: ما أمر به ونهى عنه . وقال أبى بن كعب: الأمانة هاهنا حفظ الفرج .

وأولى الأقاويل ماذكرنا عن ابن عباس، وقول الضحاك وأبى العالية قريب من ذلك . وفى بعض التفاسير: أن أول ما خلق الله تعالى من ابن آدم فرجه وأتمنه عليه، وقال: إن حفظته حفظتك .

وعن أبى حمزة السكرى أنه قال: إنى أعلم من نفسى أنى أؤدى الأمانة فى مائة ألف دينار، ومائة ألف دينار، ومائة ألف دينار إلى أن ينقطع النفس، ولو باتت عندى امرأة وأتمنت عليها خفت ألا أسلم منها .

وعن ابن مسعود أنه قال: من الأمانة أداء الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والصدق فى الحديث، وقضاء الدين، والعدل فى المكاييل والموازين، قال: وأشد من هذا كله الودائع . وهذا القول قريب من قول ابن عباس .

عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ

وقال أهل العلم: الأمانة قطب الإيمان، قال النبى ﷺ: «لا إيمان لمن لا أمانة له»(١) .

ومن الأمانةأن يكون الباطن موافقا للظاهر، فكل من عمل عملا يخالف عقيدته فقد خان الله ورسوله . وقد قال الله تعالى: ﴿ يأيها الذين آمنوا لاتخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم ﴾(٢) نزلت فى أبى لبابة بن عبد المنذر، وقد كان وضع أصبعه على حلقه، يشير إلى بنى النضير إنكم إن نزلتم فهو الذبح، وقد بينا .

وقوله: ﴿ على السموات والأرض والجبال ﴾ فيه أقوال:

الأول: وهو قول أكثر السلف، وهو المحكى عن ابن عباس وجماعة التابعين: هو أن الله تعالى عرض أوامره على السموات والأرض والجبال عرض تخيير لاعرض إلزام، وقال لهن: أتحملن هذه الأمانة بما فيها؟ قلن: ومافيها؟! فقال: إن أحسنتن جوزيتن، وإن عصيتن عوقبتن، فقلن: لانتحمل الأمانة، ولانريد ثوابا ولا عقابا، وعرضها على آدم فتحملها بما فيها . وفى بعض التفاسير: أنه قال: بين أذنى وعاتقى .

قال ابن جريج: عرض على السماء، فقالت: يارب، خلقتنى وجعلتنى سقفا محفوظا، وأجريت فى الشمس والقمر والنجوم، ومالى قوة لحمل الأمانة، ثم عرضها على الأرض، فقالت: يارب، خلقتنى وجعلتنى بساطا ممدودًا، وأجريت فىّ الأنهار، وأنبت فى الأشجار، ومالى قوة لحمل الأمانة، وذكر عن الجبال قريبا من هذا، وحملها آدم وأولاده . وعن مجاهد قال: أبت السموات والأرض والجبال أن يحملوا الأمانة، وحملها آدم فما كان بين أن حملها وخان فيها وأخرج من الجنة إلا مابين الظهر والعصر .

وحكى النقاش بإسناده عن ابن مسعود أنه قال: مثلت الأمانة كصخرة ملقاة،

(١) تقدم تخريجه .

(٢) الأنفال: ٢٧ .

كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴿٧٢﴾ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ

ودعيت السموات والأرض والجبال إليها فلم يقربوا منها، وقالوا: لا نطيق حملها، وجاء آدم من غير أن يدعى وحرك الصخرة، وقال: لو أمرت بحملها. فقلن له: احمل، فحملها إلى ركبتيه ثم وضعها وقال: والله لو أردت أن أزداد لزدت فقلن: احمل، فحملها حتى بلغ حقوه ثم وضعها وقال: والله لو أردت أن أزداد لزدت، فقلن: احمل، فحملها حتى وضع على عاتقه، وأراد أن يضعها، فقال الله تعالى: مكانك، فهى فى عنقك وعنق ذريتك إلى يوم القيامة.

فإن قال قائل: كيف عرضها على السموات والأرض والجبال، وهى لا تعقل شيئا؟ قلنا: قد بينا الجواب عن أمثال هذا من قبل. وقال بعض أهل العلم: يحتمل أن الله تعالى خلق فيها عقلا وتمييزًا حين عرض الأمانة عليهن حتى أعقلت الخطاب، وأجابت بما أجابت.

وأما قوله: ﴿فأبين أن يحملنها وأشفقن منها﴾ أى: لم يقبلوا حمل الأمانة وخافوا منها.

وقوله: ﴿وحملها الإنسان﴾ يعنى: آدم عليه السلام.

وقوله: ﴿إنه كان ظلومًا جهولا﴾ قال الحسن البصرى: ظلومًا لنفسه، جهولا بربه، حكاه أبو الحسين بن فارس. والقول الثانى: ظلوما لنفسه بأكل الشجرة، جهولا بعاقبة أمره.

وعن جماعة من العلماء: أن المراد بالظلوم الجهول هو المنافق والمشرك. وقد حكى هذا عن الحسن فى رواية.

والقول الثانى، فى أصل الآية أن المراد من العرض على السموات والأرض والجبال هو العرض على أهل السموات وأهل الأرض وأهل الجبال وهو مثل قوله: ﴿واسأل القرية﴾(١) أى: أهل القرية.

(١) يوسف: ٨٢.

وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٣﴾.

والقول الثالث ذكره الزجاج وغيره من أهل المعانى قالوا: إن الله تعالى ائتمن آدم وأولاده على شىء، وأتمن السموات والأرض والجبال على شىء، فأما الأمانة فى حق بنى آدم معلومة، وأما الأمانة فى حق السموات والأرض والجبال فهو بمعنى الخضوع والطاعة. قال الله تعالى: ﴿ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعًا أو كرها قالتا أتينا طائعين﴾(١).

وحكى السجود عن السموات والأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب، وذكر فى الحجارة قوله: ﴿وإن منها لما يهبط من خشية الله﴾(٢).

وقوله: ﴿فأبين أن يحملنها﴾ أى: أدين الأمانة فيها، يقال: فلان لم يتحمل الأمانة أى: لم يخن فيها.

وقوله: ﴿وأشفقن منها﴾ أى: أدين الأمانة خوفا منها.

وقوله: ﴿وحملها الإنسان﴾ أى: خان فيها وأثم، يقال: فلان حمل الأمانة أى: أثم فيها بالخيانة، قال الله تعالى: ﴿وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم﴾(٣) وقوله: ﴿إنه كان ظلوما جهولا﴾ قد بينا، قال الأزهرى: وقد أحسن وأجاد أبو إسحاق الزجاج فى هذا القول وأثنى عليه، وقول السلف ما بينا من قبل.

قوله تعالى: ﴿ليعذب الله المنافقين والمنافقات﴾ اللام هاهنا لام كى، ومعناه: كى يعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات يعنى إذا خانوا.

وقوله: ﴿ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات﴾ أى: يهديهم ويرحمهم إذا أدوا الأمانة. وعن ابن قتيبة قال معناه: ليظهر المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات، ويعذبهم على الخيانة فى الأمانات، ويظهر المؤمنين والمؤمنات بأداء الأمانة.

وقوله: ﴿وكان الله غفوراً رحيمًا﴾ ظاهر المعنى.

(١) فصلت: ١١.

(٢) البقرة: ٧٤.

(٣) العنكبوت: ١٣.